مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية

الحج

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

العدد الثالث والستون ٦٣
ذو الحجة ١٤٣١ هـ
تشرين الثاني - كانون الأول ٢٠١٠م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصـــدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 93 ذو القعدة ـ ذو الحجة 1431 هـ وفق تشرين الثاني ـ كانون الأول 2010 م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحريـــر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحـــرير

أ. عطا الله عبد الله فلاحين

هيئة التحـــرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

تصميم ومونتاج : يوسف تيسير محمود

المراسلات: مجلة الإسراء ، مديرية العلاقات العامة والإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

استراحة العابد	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

لماذا يحقدون على الإسلام ؟؟!	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	11

ملف العدد

الحج فوائده وآثاره	الدكتور شفيق عياش	22
المقصد العام من الحج إلى بيت الله الحرام	الشيخ أحمد شوباش	27
الحج عبر ومواعظ	الدكتور ياسر حماد	33
وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً	الشيخ جميل جمعة	38

من وحي العقيدة

ختم النبوة واكتمال الدين الرمز والدلالة	الدكتور حمزة ذيب	43

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	دار الإفتاء الفلسطينية	56

فهرس العدد

من هنا وهناك

مواسم العمر من الولادة حتى زمان البلوغ	الدكتور إسماعيل نواهضة	61
عرض كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟	الأستاذ يوسف عدوي	66

تهذيب وأخلاق

وصية لكل إمرأة	الشيخ محمد سعيد صلاح	76
أدبيات التعامل مع الناس	الدكتور خالد الغزاوي	84
طوبى للباكين من خشية الله	الأستاذ كمال بواطنه	90

شعر

نفحات حاج	الأستاذ محمد ذياب أبو صالح	96

نشاطات

مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	98
مسابقة العدد 93	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 91	أسرة التحرير	111

ضوابط الكتابة لمجلة الإسراء

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء	أسرة التحرير	112

افتتاحية العدد .. .. افتتاحية العدد .. .. افتتاحية العدد .. .. افتتاحية العدد .. .. افتتاحية العدد

استراحة العابد

الشيخ محمد أحمد حسين / المشرف العام

عن أبي عُبَيْدٍ مولى بن أَزْهَرَ قال: شَهِدْتُ الْعِيدَ مع عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فقال: «هَذَانِ(1) يَوْمَانِ نهى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عن صِيَامِهِمَا؛ يَوْمُ فِطْرِكُمْ من صِيَامِكُمْ، وَالْيَوْمُ الْآخَرُ تَأْكُلُونَ فيه من نُسُكِكُمْ».(2)

يبين ابن حجر العسقلاني فائدة وصف اليومين في هذا الحديث، بالإشارة إلى العلة في وجوب فطرهما، وهو الفصل من الصوم، وإظهار تمامه وحده بفطر ما بعده، والآخر لأجل النسك المتقرب بذبحه، ليؤكل منه، ولو شرع صومه لم يكن لمشروعية الذبح فيه معنى، فعبَّر عن علة التحريم بالأكل من النسك؛ لأنه يستلزم النحر، وفي الحديث تحريم صوم يومي العيد سواء النذر والكفارة والتطوع والقضاء والتمتع، وهو بالإجماع.(3)

فالفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبر عن نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيام عيدي الفطر والأضحى، ومن دلالات هذا النهي النبوي أنه ينبه الأذهان إلى طبيعة دين الإسلام الذي يوازن بين مطالب الجسد والروح، ويبيِّن مقاصد الدنيا والآخرة، فهو يشدد على أداء المناسك والشعائر التعبدية، ويفصل أحكامها وأوقاتها وشروطها وثوابها وعقاب تركها أو التفريط فيها، وهو في الوقت نفسه يمنع التفرغ الكامل لأداء الشعائر التعبدية، بل يفرض أحياناً التحلل منها، فهو يفرض الصيام بالإمساك عن المفطرات في نهار رمضان، ويأمر بالتحلل من الصيام بالإفطار اليومي بعد

غروب الشمس، ويمنع صيام يوم التحلل من ختم شهر رمضان بعد ثبوت هلال شهر شوال التالي لرمضان، فمن أفطر نهار رمضان وهو مكلف دون عذر شرعي يأثم، ومن صام يوم العيد يأثم، في صورة تجمع بين المتقابلين تحت مظلة العبادة المشروعة، فكما كان الإمساك نهار رمضان عبادة، فإن الإفطار بعد الغروب ويوم العيد عبادة أيضاً، وهناك عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة تدل على هذا المنحى في التوجيهات النبوية، والتي تدل بوضوح على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحرص على أن تكون للعابد استراحة؛ تبقي على حيويته وهمته ونشاطه، وهو يؤدي الشعائر والمناسك دون أن يصاب بداء الملل والسآمة منها.

وصلاة قيام ليالي رمضان تسمى التراويح، جمع ترويحة؛ وهي المرة الواحدة من الراحة، كتسليمة من السلام، وسميت بذلك؛ لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين، قال الليث : قدر ما يصلي الرجل كذا وكذا ركعة.(4)

وفي سياق الاستدلال على استراحة العابد يظهر أنه مثلما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيام العيدين، فإنه نهى عن الوصال في الصيام والقيام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَاكْلَفُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ». (5)

ومن الشواهد الدالة بوضوح على تشريع الاستراحة للعابد ما جاء في رده صلى الله عليه وسلم على ثلاثة النفر الذين أرادوا المبالغة في العبادة، إلى حد الانشغال التام بها، فعن أَنَس بن مَالِكٍ رضي الله عنه، قال: «جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ(6) إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبي صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ (7)النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أُخْبِرُوا، كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا(8)، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قال أَحَدُهُمْ: أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقال آخَرُ: أنا أَصُومُ

الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا والله إني لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن(9) سُنَّتِي(10)، فَلَيْسَ مِنِّي».(11)

فهذا الحديث واضح في بيان رد الرسول صلى الله عليه وسلم على قرارات هذا النفر من المسلمين، الذين ابتغوا أن يشددوا على أنفسهم بالتجرد النوعي للزهد والعبادة، سواء للصيام أم القيام أم هجر الزواج، فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بخبرهم، بين أنه أكثر خشية لله، وأشد تقوى منهم، ومع ذلك فإنه يصوم ويفطر، ويقوم للصلاة وينام، ويتزوج النساء، ويبقى أخشى وأتقى من الذين يشددون، محذراً من سلوك منحى التشدد في الدين، بإعلانه البراءة ممن يختار طريقاً ومنهجاً مخالفاً لما هو عليه، بقوله: فمن رغب عن سنتي –طريقتي– فليس مني، حتى وإن بدا ظاهر ذلك المنهج المخالف بصورة المبالغة في عمل الطاعة، وتقديم المزيد منها، على طريقة الإفراط في العبادة والعطاء.

فالإنسان خلق ليعبد الله، وهو يصلي ويصوم، ويزكي، ويحج، ويعبده كذلك، وهو يأكل ويشرب ويتزوج ويسعى على رزق عياله، ويتمتع بطيبات ما رزقه الله وفق شريعة الله وهدي نبيه، وقد أنكر الله تعالى على من حرم على نفسه أو على الناس شيئاً مما أباحه لهم، فقال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(12). وينهى الله المؤمنين عن الاعتداء على حق الله في إباحة الطيبات لعباده، فيقول تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(13).

والله يأمر العابدين بالتمتع بالطيبات، وشكر الله على آلائه فيها، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}(14)

وعن أبي جحيفة عن أبيه قال: «آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ سَلْمَانُ».(15)

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: كَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا، قَالَ: وَاقْرَأْ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ، قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَبِرْتُ، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(16)

وفي الحج شرع الله التمتع بين أداء مناسك العمرة ومناسك الحج، فقال تعالى: {.. فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ...}(17)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مُتْعَةِ الْحَجِّ، فَقَالَ «أَهَلَّ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَأَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَأَهْلَلْنَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلُوا إِهْلَالَكُمْ بِالْحَجِّ عُمْرَةً، إِلَّا مَنْ قَلَّدَ الْهَدْيَ، فَطُفْنَا بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَأَتَيْنَا النِّسَاءَ، وَلَبِسْنَا الثِّيَابَ، وَقَالَ: مَنْ قَلَّدَ الْهَدْيَ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، ثُمَّ أَمَرَنَا عَشِيَّةَ التَّرْوِيَةِ أَنْ نُهِلَّ بِالْحَجِّ، فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْ الْمَنَاسِكِ، جِئْنَا فَطُفْنَا بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَقَدْ تَمَّ حَجُّنَا، وَعَلَيْنَا الْهَدْيُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ الْهَدْيِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ، وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ} إِلَى أَمْصَارِكُمْ، الشَّاةُ تَجْزِي، فَجَمَعُوا نُسُكَيْنِ فِي عَامٍ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَسَنَّهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبَاحَهُ لِلنَّاسِ غَيْرَ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ اللَّهُ:{ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} وَأَشْهُرُ الْحَجِّ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: شَوَّالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحَجَّةِ، فَمَنْ تَمَتَّعَ فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ فَعَلَيْهِ دَمٌ، أَوْ صَوْمٌ. وَالرَّفَثُ؛ الْجِمَاعُ، وَالْفُسُوقُ؛ الْمَعَاصِي، وَالْجِدَالُ؛ الْمِرَاءُ». (18)

فاستراحة العابد تبدو واضحة في نسك التمتع، حيث إن الحاج الذي جمع بين العمرة والحج، يدخل مكة محرماً، ثم يؤدي مناسك العمرة، ويتحلل بعد ذلك من إحرامه، ليعود إليه في اليوم الثامن من ذي الحجة –يوم التروية– معلناً استئناف أعمال الحج، وهو بتحلله من الإحرام الأول، والعودة للإحرام من جديد يكون قد استراح من قيود الإحرام، وتمتع بالتحلل، وهي متعة تعبر عن شكل من أشكال الاستراحة التي يتيحها الشرع الحنيف للعابد.

فالرسول صلى الله عليه وسلم حرص أشد الحرص على تربية المسلمين ليكونوا

عباداً لله على الوجه الصحيح، يمارسون الشعائر التعبدية، وهم يحافظون على أداء الواجب منها، ويسعون لتقديم المزيد في دائرة التطوع والنوافل، على تفاوت بينهم في ذلك، ولم يقبل منهم المغالاة فيها، مثلما لم يسمح لهم التفريط بشيء منها، فكانوا بذلك يقتفون سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي علمهم بقوله وفعله وتوجيهاته كيف يعبدون الله باعتدال، يعبدون ويستريحون، وهم يمارسون العبادات الرئيسة من صلاة وصيام وحج، حتى يكون كل نوع من أنواع العبادة مدرسة سلوكية لهم، يتعلمون منها بالممارسة والتطبيق القيم والمثل العليا، ويأخذون منها بواعث نجاحهم في الدنيا، ومقدمات فوزهم بالآخرة.

والعابد الناجح يعرف طريقه إلى ربه على النحو الذي يرضيه سبحانه، أسوته في خطاه منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وسنته، الذي صام وأفطر، وقام الليل ونام، وأكل وشرب وتزوج، وعاش لله عابداً في صومه وصلاته وحجه وجهاده، وعاش له كذلك في بقية شأنه، مقرراً أنه بشر له طباعهم وفيه نوازعهم، فعن علقمة، قال: «قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا أَدْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ؛ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؛ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ، فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ». (19)

والبشر ينشطون ويتعبون، وهم بذلك يحتاجون الراحة، فلا بد للعابد إذن من استراحة، تتخلل أداءه للطاعة والعبادة، ليحافظ على نشاطه وحياته، ويبقى على شوق للعبادة.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الأسوة، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن اقتدى واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

الهوامش:

1. قوله هذان فيه التغليب، وذلك أن الحاضر يشار إليه بهذا، والغائب يشار إليه بذاك، فلما أن جمعهما اللفظ قال: هذان؛ تغليباً للحاضر على الغائب.(فتح الباري ج4/ ص239)
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الفطر.
3. فتح الباري ج4/ ص239.
4. المنتقى شرح موطأ مالك، كتاب الصلاة في رمضان، ولم يمنعه من المواظبة عليه إلا خشية أن يفرض على أمته، ص 417 – 2 – باب ما جاء في قيام رمضان.
5. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم.
6. وفي رواية مسلم من حديث ثابت عن أنس أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، والفرق بين الرهط والنفر، أن الرهط من ثلاثة إلى عشرة، والنفر من ثلاثة إلى تسعة، وكل منهما اسم جمع لا واحد له، ولا منافاة بينهما من حيث المعنى. (عمدة القاري ج20/ ص65)
7. وفي رواية مسلم «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ» صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.
8. تقالوها بتشديد اللام المضمومة، أي عدوها قليلة، وأصله تقاللوا فأدغمت اللام في اللام لاجتماع المثلين.
9. لفظ رغب إذا استعمل بكلمة عن، فمعناه أعرض، وإذا استعمل بكلمة في، فمعناه أقبل إليه.
10. طريقتي.
11. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح.
12. الأعراف:32.
13. المائدة:87.
14. البقرة:172.
15. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له.
16. صحيح مسلم، كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.
17. البقرة:196.
18. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام.
19. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان.

كلمة العدد

لماذا يحقدون على الإسلام ؟؟!

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

لا تكاد شمس يوم تغيب، حتى ترد أخبار من هنا وهناك عن إساءة للإسلام أو رموزه، على تنوع في أشكالها، واختلاف في مصادرها، فبعضها صريح كحملة حرق المصحف الشريف التي دخل جزء منها مرحلة التنفيذ، وأرجئ جزء آخر، وحملة الإساءة للنبي، صلى الله عليه وسلم، والتطاول على صحابته، رضي الله عنهم، وأزواجه الطاهرات، وملاحقة المسلمين والمسلمات لا لذنب سوى أنهم يمارسون شعائر الإسلام، أو يلتزمون بأحكامه في لباسهم وأفكارهم، أو حتى لمجرد انتسابهم إليه.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا: **لماذا هذا الحقد الأعمى على الإسلام؟ وما بواعث هذا التطرف ضد المسلمين؟**

وعند محاولة الإجابة عن هذا التساؤل يظهر أن من أبرز القواسم المشتركة لإفساح المجال أمام الانتهاكات المتعمدة ضد الإسلام ورموزه تكمن في التذرع بحرية الرأي، فتحت هذا الشعار تفتح الأبواب على مصارعها للتعبير المتفلت من القيم والمعايير، ومن أغرب العجائب والتناقضات أن الكيل بمكيال حرية التعبير يتسم بالنفاق والازدواجية، فإذا مس التعبير بعض القضايا أو الناس من المحصنين بحمايات معينة، فإن الدنيا تقوم ولا تقعد، وينهال الشجب من كل حدب وصوب، لانتهاك قدسية هذه الفئة من الناس أو

التعرض لشيء من قضاياها.

أما حين يكون الانتهاك ضد فئات أخرى مثل المسلمين ورموزهم ومقدساتهم، فإن المتحذلقين والمسوغين ينبرون لتبرير ذلك، بحجة احترام الحريات، وأن ذلك من فيض نفحات الديمقراطية ونعيمها، ومن سمات قداستها.

وللتوضيح أكثر؛ فإن مسائل التعدي على المقدسات ينظر إليها حسب جانبين، أولهما الطرف المعتدي، وثانيهما الطرف المعتدى عليه، فهناك فرق بين أن يصدر التعدي من أصحاب جنسيات أو ديانات أو انتماءات معينة، وبين أن يصدر من فئات أخرى، فصدوره من المشمولين بالحماية العالمية أو من فئات تنتمي لأصحاب القوة والنفوذ العالمي يختلف عن صدوره من المقموعين عالمياً، والتقسيم نفسه يشمل الجهة المعتدى عليها، وسبق أن قيل: قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر، وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر، وما يحدث في ضوء تعدد المكاييل الخاصة بانتهاك حرمة المقدسات حسب المعتدين والمعتدى عليهم ينضوي في سياق ذاك القول العنصري البغيض.

ومن أحدث صرعات استباحة انتهاك حرمة المقدسات تحت هذه الذريعة، ما يحدث من تفشي لظاهرة التباهي بالتطاول على القرآن الكريم، سواء بالحرق أو الدوس أو ما شابه من الأفعال المشينة، وتزعم حملة جديدة لذلك القس تيري جونز –أسقف كنيسة فلوريدا–، من مركز «دوف وورلد أوت ريتش»، الذي أعلن عن نيته حرق المصحف أمام إحدى الكنائس في مدينة جينسفيل بولاية فلوريدا الأمريكية، في الحادي عشر من أيلول 2010م الذي يوافق الذكرى التاسعة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة عام 2001م. وقد علقت هناك إعلانات كتب عليها «اليوم العالمي لإحراق المصحف»، وبين جونز أن الهدف من خطة حرق المصحف هو «توجيه رسالة واضحة

إلى العناصر المتطرفة في الإسلام، بأنه لن يتم التسامح معهم في الولايات المتحدة». ووصف الإسلام «من عمل الشيطان»، واعتبر أن القرآن الكريم مسؤول عن هجمات 11 سبتمبر، وتقول كنيسة فلوريدا: إنها تريد أن تتصدي لما وصفته بـ«شر الإسلام».

ومما يلاحظ أنه لم تتخذ إجراءات عملية لمنع تلك الحملة من التنفيذ، على الرغم من وصف هذا العمل من بعض المسؤولين الرسمين بأنه «خطير وأحمق»، وأمر «مقيت» و«يتعارض مع القيم الأمريكية»، وأنه فكرة «مستفزة ومتعصبة وغير محترمة». وقال نجيب جبرائيل – رئيس منظمة الاتحاد المصري لحقوق الإنسان: إن ما يعتزم القس جونز تنفيذه يندرج تحت أعمال التطرف والإرهاب(1).

ويذكر أنه سبق للدنمارك أن أعلنت عن دعوة لحرق المصحف الشريف في الساحة الكبرى في كوبنهاجن، رداً على مقاطعة البلاد الإسلامية لمنتوجاتها، حيث أطلقت دعوة وقتها لكل دنماركي أن يشتري نسخة من القرآن، ويأتي بها إلى الساحة العامة الرئيسة ليتم حرقها.

وفي سياق متصل نقلت بعض وكالات الأخبار أن متطرفين يهود مزقوا القرآن الكريم في القدس الغربية، وداسوه بأقدامهم وسط شارع يافا بالقدس الغربية(2).

ومما يدعو للاشمئزاز أن بعض المواقف الغربية الشاجبة لحرق المصحف لم تنطلق من حرص على العلاقات المتبادلة بين الدول والشعوب، ولا مراعاة للمحافظة على القيم والمقدسات وقبول الآخر، وإنما انطلقت تحسباً من ردود الفعل التي قد تقع في بعض أنحاء العالم، فدافعها تمثل في الخوف على المصالح الخاصة بها، وهي قادرة لو شاءت أن تمنع هذا الاعتداء وأمثاله، مستندة إلى مبادئها المزعومة التي تنادي بالعدل والمساواة.

وحملات حرق القرآن تندرج ضمن المحاولات القديمة الجديدة للنيل من القرآن الكريم،

سواء ما تعلق منها بوصفه بالسحر، أم بإثارة الشبهات حوله، أم بالتعرض المباشر للاعتداء المادي عليه، وبعض الجهات تغمز وتلمز بالقرآن على طريقة المستهزئين الأقدمين ونهجهم، وبعضهم يتستر تحت عباءة مسميات تبدو أحياناً في ظاهرها إسلامية، ومثل أولئك مثل بعض أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: {وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }(3).

فكانت خطتهم من التظاهر بالاتباع المؤقت للإسلام، ثم الرجوع عنه، تشكيك الناس والمؤمنين به، إذ يقول بعضهم: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه.

وبالتزامن مع حملة حرق القرآن أثار خبر تكريم المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل للدنماركي كورت ويسترغارد ، صاحب الرسوم المسيئة للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– غضباً واسعاً بين مسلمي العالم وبخاصة في ألمانيا.

ومما لا شك فيه أن الحملات العنصرية والمتطرفة ضد الإسلام ورموزه لا تخدم حالة الاستقرار والسلام العالمية، وإنما تذكي روح العداء والحروب بين الشعوب والأمم والديانات، وتدل على مدى التعصب الأعمى الذي يسيطر على عقول هؤلاء الناس وفكرهم وسلوكهم، وهي تدل كذلك على الحقد التاريخي الكامن في نفوس القائمين على هذه الحملات وعقولهم، وقد حذر القرآن الكريم ممن يكنون الحقد والكراهية للمسلمين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}(4)

وهذه المواقف والحملات تنم أيضاً عن عقلية الغرور والغطرسة التي تنطلق منها موجات الاعتداء والكراهية للإسلام والمسلمين في الغرب، والتي يغذيها ضعف المسلمين، وقصور فاعلية ردود أفعالهم، بالإضافة إلى الخوف مما يسمى بالإرهاب الإسلامي، وقد أثار مشروع بناء مسجد قرب موقع مركز التجارة العالمي الذي تعرض لهجوم في 11 أيلول 2001م، موجة من الاعتراض والسخط لدى بعض الجهات هناك، ويحتج بعض هؤلاء المعترضين بالتحسب مما يسمى الإرهاب الإسلامي، والذي بات يعرف بـ «الإسلامو – فوبيا» أي التخوف من الإسلام، وقد استغلت أحداث 11 أيلول 2001م منذ وقوعها، ولغاية الآن في التحريض الواسع ضد الإسلام والمسلمين، سواء على المستوى السياسي أم الديني أم الثقافي أم الاجتماعي، ويتزعم حملة التحريض هذه المحافظون الجدد، واستبيحت حرمات المسلمين في بلدانهم وخارجها، بحجة محاربة الإرهاب، وملاحقة الإرهابيين، حتى إن الرئيس الأمريكي نفسه لم يسلم من براثن هذه الحملة لوجود صلة بين واحد من سلالته والإسلام.

وإذا ما تمت مراجعة متروية للوقائع التاريخية في ظلال الآيات القرآنية، فإن المراجع يلحظ التعنت حيال القرآن وآياته من قبل المكابرين الحاقدين، والله تعالى يقول:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...} (5)، وهم {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }(6).

والكافرون كانوا يقولون عند قراءة النبي، صلى الله عليه وسلم، القرآن إيتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته، فيسكت عن القراءة، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}(7).

وعند الاسترسال في تدبر الحقائق ذات الصلة بالانتهاكات السافرة ضد الإسلام

ورموزه، يلاحظ أنها تفقد وجه غرابتها، فالحقد الأعمى على الإسلام والمسلمين، يأتي في طليعة الدوافع لشن هذه الحملات المسعورة ضد الإسلام، فلا يروق لهؤلاء الحاقدين أن يكون القرآن نوراً من الله مبيناً، أنزله على قلب خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى يقول: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(8).

ويقول سبحانه:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً}(9)، والذين يتبعون هذا النور هم المهتدون، فالله تعالى يقول: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(10).

والدعاة إلى الإسلام يتصدرهم الرسول صلى الله عليه وسلم يهدون بالقرآن إلى الصراط المستقيم، لقوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}(11).

والقرآن أولاً وأخيراً تلقاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين الْعَزِيز الرَّحْمَن الرَّحِيم الْحَكِيم الحَمِيد الْعَلِيم، شاء من شاء وأبى من أبى، والله تعالى يقول:{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ}(12)، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً}(13)، {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(14)، {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}(15)، {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}(16)، {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}(17)، {تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ}(18)، {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}(19)، {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}(20).

والذين لا يروق لهم أن يكون للقرآن الكريم هذا المقام والمجد الرباني يسعون بكل ما أوتوا من قوة للتصدي لهذا النور، بدلاً من مناصرته، ونهاية المطاف تقود إلى الإقرار بأن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، قال تعالى: {... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ}(21).

وتلك النهاية تقود أيضاً إلى أن الله لمن قصد إطفاء نوره بالمرصاد، مصداقاً لقوله سبحانه: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}(22)، وقوله سبحانه:{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}(23).

وقد أنكر الله الغفلة عن تدبر القرآن والتأثر به، فقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(24).

وقد تكون الجبال أعقل من الغافلين عن تدبر القرآن وأخشى منهم، مصداقاً لقوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(25).

ولا بد في هذا المقام من تذكير من يعادون الله بإعلانهم الحرب على مقدساته، وخير التذكير ما أنزله الله في كتابه العزيز من وعيد لمن فتنوا أنفسهم وظلموها، لأن الندم سيعتريهم، ولات حين مندم، فقال تعالى:{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}(26).

وقال سبحانه: {قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً}(27)، {...وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}(28){كَلَّا سَيَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}(29).

ومن جانب آخر؛ فإن المتابع لما تتناقله وسائل الإعلام من تبعات حملة التعدي على المصحف الشريف بالحرق يجد ما يستوقفه وذيولها، ومن ذلك ما ورد عن رد مميز ومعبر من شباب مسلمين في الأردن، إذ قاموا بالرد على دعوات حرق المصحف بزرع الزهور في إحدى كنائس العاصمة عمان، فقد أوردت العربية نت أن عدداً من الشباب الأردنيين توجهوا إلى كنيسة البشارة في العاصمة عمّان، ليقدموا إكليلاً من الزهور البيضاء وباقاتً من الزهور لرهبان الكنيسة، رداً على المتطرفين الذين قاموا بتمزيق نسخة من القرآن الكريم وحرقها، ورداً على دعاة التطرف، كما قال منظمو الفعالية، ولا شك أن هذه المبادرة تعبر عن موقف حضاري، مستلهم من تعاليم الإسلام وقيمه التي يسودها التسامح والعدل.

وبحسب صحف أردنية نشرت الخبر الثلاثاء 14 / 9 / 2010م فقد كان في استقبال الشبان عدد من الرهبان، ووصف أحدهم رجل الدين الأمريكي الذي دعا إلى حرق

نسخ من القرآن، بأنه ذو نوايا لئيمة، وليس من رجال الدين المسيحي الذي من أسسه المحبة، وطالب بألا يوصف ذلك القس بأنه صاحب كنيسة، لأن الكنائس لا تفعل مثلما يفعل.

وأكد المنظمون للفعالية أنهم انطلقوا بفكرتهم بسبب حبهم لكتاب الله، وبسبب فهمهم للإسلام كدين تسامح ومحبة، وأن القس الذي دعا لحرق مصاحف لا يمثل إلا نفسه، وبينوا أن الفكرة وليدة اللحظة وتأتي تعزيزاً لقيم التسامح، ولتوجيه رسالة إلى العالم بأن الدين الإسلامي دين يسر، وبأننا أرض الأديان والرسالات السماوية والتعايش.

مشيرين إلى أن الكنيسة تقبلت الفكرة بترحاب كبير، وأن زرع الورود جاء رداً على دعاة التطرف، وتأكيداً على جذور العلاقة الإسلامية المسيحية الراسخة، وقد أرادوا بالزهور أن تكون عبارة عن باقة لتعزيز قيم التسامح.(30)

فحقيقة الإسلام أنه دين التسامح والعفو، لكنه ليس دين الدنية والهوان، ولا دين التطرف والإرهاب كما يحلو للبعض أن يتصوروه أو يصوره للآخرين، وهو أولاً وأخيراً محفوظ في كنف رب العالمين، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(31)، ويجدر في هذا المقام التذكير بتفريق الإسلام في الحكم على الناس، فلا يأخذ بعضاً بجريرة آخرين، مقرراً مبدأ أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وقد جاء في القرآن الكريم النص الصريح على المايزة والتفريق بين أصناف أهل الكتاب، فقال تعالى: {لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ

وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(32).

وقال تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ}(33).

فالعبرة بالمواقف لا بالمسميات، فمن يشجب الاعتداء على مقدسات المسلمين، ينبغي للمسلمين أن يميزوا بين الموقف منه وبين الموقف ممن يعتدي على حرماتهم ومقدساتهم.

الهوامش:

1. موقع أخبار مصر، تاريخ النشر: 9/ 9/ 2010.
2. موقع وكالة معا الإخبارية، 15/ 09/ 2010.
3. آل عمران:72.
4. آل عمران:118.
5. سبأ:31.
6. الحجر:91.
7. فصلت:26.
8. التغابن:8.
9. النساء:174.
10. الأعراف:157.
11. الشورى:52.
12. النمل:6.

13. الإنسان:23.

14. الشعراء:192.

15. يس:5.

16. الزمر:1.

17. غافر:2.

18. فصلت:2.

19. فصلت:42.

20. الواقعة:80.

21. النور: 40.

22. التوبة:32.

23. الصف:8.

24. محمد:24.

25. الحشر:21.

26. الحديد:14.

27. مريم:275

28. الشعراء:227.

29. النبأ: 4 – 5.

30. العربية نت، http://www.alarabiya.net/articles/2010/09/14/119226.html.

31. الحجر:9.

32. آل عمران:113 – 116.

33. المائدة:82.

الحج فوائده وآثاره في حياة الفرد والجماعة المسلمة

الدكتور شفيق عياش / جامعة القدس

الحجّ في اللغة: القصد إلى معظم.

وفي الإصطلاح الشرعي: زيارة مكان مخصوص، في زمن مخصوص بفعل مخصوص.

أما المكان المخصوص: فهو الكعبة المشرفة، وعرفة.

وأمّا الزمن المخصوص: فهي أشهر الحج، وهي: شوّال وذو القعدة والعشر الأوّلى من ذي الحجة.

وأمّا الفعل المخصوص: فهي أداء أفعال الحج من طواف، وسعي، ووقوف بعرفة، وسائر المناسك، استجابة لأمر الله تعالى، وطلباً لمرضاته.

وأجمعت الأمّة على فريضة الحج في العمر مرة واحدة، وقد فرض الحج بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة والإجماع.

والدليل من القرآن الكريم قوله تعالى:{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}(1).

أمّا الدليل من السنّة النبويّة الشريفة، فما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ؛ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ،

فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ...»(2).

وانعقد الإجماع على فريضة الحج، وعلى أن منكره كافر.

ويجب الحجّ على الفور عند جمهور الفقهاء في حال الاستطاعة، فلا يجوز لمن وجب عليه الحجّ أن يؤخره للعام الذي يليه، وقال الشافعيّ وأحمد في رواية عنه: يجب الحج على التراخي، فلمن وجب عليه الحجّ تأخيره، شريطة أن يؤديه قبل الوفاة، ويجوز له تأخير الحجّ من غير عذر موجب للتأخير(3).

وفرض الحجّ سنة تسع للهجرة، وحجّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعد الهجرة حجّة واحدة سنة عشر(4).

وللحجّ فوائد وأسرار وآثار عظيمة؛ تعود بالخير العميم والنفع الجليل على أبناء الأمة الإسلاميّة جمعاء.

وأهم فوائد الحج على الأفراد:

1. في الحج تقوية للإيمان، وتهذيب للنفس، وتكفير للذنوب، واستجابة لأمر الله تعالى، حيث قال: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}(5).

2. في الحجّ مساواة تامة، تتحققّ بأجلى صورها، فلا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين فقير وغني، ولا بين حاكم ومحكوم، فتكون هذه المشاهد العظيمة سبيلاً لغرس هذه المفاهيم الإنسانيّة في نفس الحاج بشكل عمليّ.

3. يكتسب الحاج ثقافة واسعة، وخبرة عمليّة، حيث يلتقي بالناس الذين أتوا من كلّ فجّ عميق، فيتعرف أخبارهم، ويتحسس مشاعرهم.

4. في الحجّ تعويد للحاج على الصبر، وتحمّل الشدائد ومفارقة الأهل والوطن، وتمرين عمليّ على الخشونة وشظف العيش، وليكون مدرباً على خوض المعارك ومقارعة الأعداء في كلّ مكان.

5. الحجّ برهان عمليّ على أن الحاج يفضّل حب الله تعالى على أهله وعمله وديارِه، فيتحملّ مشاقّ السفر، ومخاطر الطريق، تلبية لدعوة الله سبحانه وتعالى، وابتغاء مرضاته.

6. يزور الحاجّ البقاع الطاهرة التي شهدت التضحيات، واعتزّت بمواقف الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم وصحابته المجاهدين، الذين ضحّوا بكلّ غال ونفيس في سبيل الله ونشر دعوة الإسلام، فتثور في نفسه كوامن العزّة والكرامة والسؤدد ودوافع الجهاد لإعادة مجد الأمّة من جديد، وتحرير البلاد الإسلاميّة، وعلى رأسها فلسطين من كيد الأعداء الصهاينة المحتلين.

ومن أهم فوائد الحج التي تعود على الأمّة المسلمة:

1. الحجّ وسيلة قويّة لتعارف المسلمين وتعاونهم، وائتلاف قلوبهم، وجمع كلمتهم، وتوحيد مشاعرهم، فالمسلمون على اختلاف بلادهم ولغاتهم وألوانهم جاءوا إلى الأرض الطاهرة يلبون نداء ربّهم، غايتهم واحدة هي عبادة الله سبحانه وتعالى كما ألّف بين قلوبهم، قال سبحانه: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}(6)، فبالحجّ تزول الحدود المصطنعة، ويشعر المسلمون فيه أن لهم قوّة كبيرة تحقق لهم أهدافهم، لو نظّمت ووجهت التوجيه الصحيح.

2. تتحقق للمسلمين في الحجّ منافع اقتصاديّة، حيث يكثر البذل والعطاء من الأغنياء لإخوانهم الفقراء، ويتبادلون السلع التجاريّة على نطاق واسع.

روى البخاري عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: قال: «كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ، فَنَزَلَتْ {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ»(7).

3. تتحقق في الحجّ معاني الوحدة والمساواة بين المسلمين، فيتدارسون، ويتعاونون على البر والتقوى، ويصدّون العدوان عن ديارهم ومقدساتهم.

4. الحجّ مؤتمر إسلاميّ عالميّ دوريّ، لم يدع إليه ملك أو رئيس أو هيئة، بل دعا إليه الله العليّ العظيم، يلتقي فيه قادة الرأي من المسلمين من مختلف أنحاء العالم، ينتهزون فرصة اجتماعهم لعرض مشكلاتهم، ومناقشتها في جوّ من الحبّ والإخاء، وإتخاذ الحلول والسبل السلميّة لحلّها.

حقاً إنّ الحج وما فيه من فوائد طيّبة، وشعائره وما لها من أثر في النفوس، وتماسك الجماعة المؤمنة وما لها من إيحاء في الفكر والسلوك، كل هذا يترك أثره الواضح في أعماق الإنسان المسلم، فيعود من رحلته الدينيّة أصفى قلباً، وأطهر مسلكاً، وأقوى عزيمةً على فعل الخير، وكلّما كان حجه مبروراً خالصاً لله سبحانه، كان أثره في حياته المستقبليّة يقيناً راسخاً لا شكّ فيه، يستقبل حياته وكله طهر ونقاء، ومن هنا قال الرسول صلى الله عليه وسلّم: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(8).

وبعد؛ فإن الحجّ يجب أن يكون باعثاً على الخير والبر والطاعة والإحسان، ناهياً عن الشر والمنكر والبغي، ومانعاً من الزور والآثام والعصيان، بحيث لا يقول الحاجّ إلا خيراً، ولا يعمل إلا صالحاً، ولا يكسب إلا رزقاً حلالاً، قال صلى الله عليه وسلم: « ... وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»(9).

الهوامش:

1. آل عمران:97.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.
3. النووي 7/103.
4. روى البخاريّ عن قتادة قال: سألت أنا كم حجّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال: حجّة، واحدة واعتمر أربع عمر. الطبري ص 558.
5. الحجّ: 27.
6. الأنفال: 63.
7. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما جاء في قوله تعالى «فإذا قضيت الصلاة».
8. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.
9. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها.

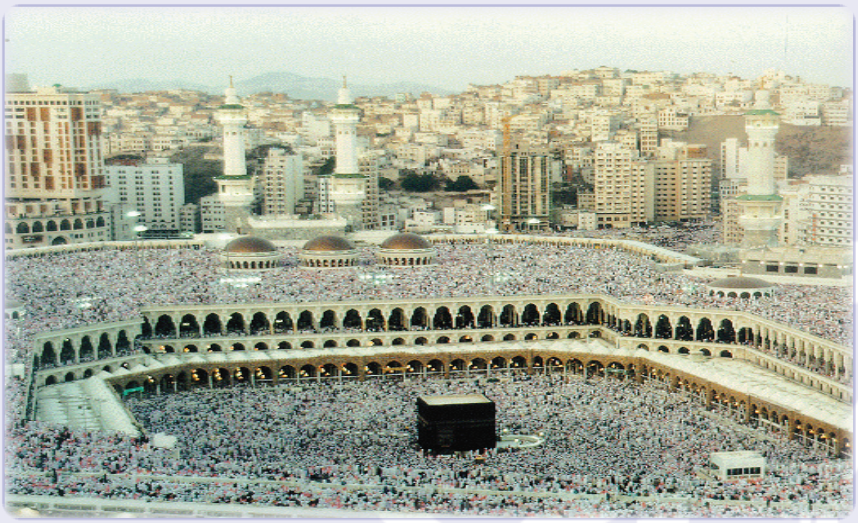

المقصد العام من الحج إلى بيت الله الحرام

الشيخ / أحمد شوباش - مفتي محافظة نابلس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فإن العبادات التي فرضها الله سبحانه على عباده تحقق مقاصد جليلة، وأهدافاً آجلة، ومنافع عاجلة، وهي متنوعة ومتعددة ولا تكاد تحصى.

والعبادات في الإسلام –بالمفهوم العام – تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأحوال الظاهرة والباطنة، فهي تشمل الصلاة والصيام والزكاة والحج، كما تشمل الأخلاق والسلوكيات الشرعية، وحتى العادات بنية التقرب إلى الله، وكل عادة موصلة إلى عبادة.

والإسلام لا يريد من العابد أن يؤدي طقوساً فارغة، وحركات صماء لا تحقق هدفاً أسمى، ولا تنتج أثراً مرتجى، ولهذا فإن العلماء تحدثوا عن مقاصد العبادات بصفة عامة، وعن مقاصد كل عبادة باعتبار خصوصيتها.

ومن العبادات العظيمة عبادة الحج، التي تحقق مقاصد عدة؛ من أهمها تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى، وتطهير النفس من الأخلاق المذمومة، وتزكية النفس بالتقوى والأخلاق الحميدة، وذكر الله قبل الحج وأثناءه وبعده، وتعظيم شعائر الله وحرماته،

وتحقيق معاني الأخوة والوحدة، وتحقيق معاني الأمن وتحصيل المنافع في الحج، عدا عن تمرين المسلم على التوازن والمساواة وتحقيق التعارف، والتعود على الانضباط والنظام والمداومة على العبادة، وتعويد النفس على الخشونة وصعوبة العيش، وغير ذلك كثير.

إن هذه المقاصد والأهداف من عبادة الحج كلها مقاصد جليلة، وكثير من الحجاج يغفل عن تأملها، ويشتغل بالأحكام الفقهية الدقيقة مع أنها على قدر من الأهمية، والحاجة إليها ملحة، لكن لا ينبغي أن تصرف بصر الحاج وبصيرته عن المقاصد والحكم والدلالات والغايات، التي لها أكبر الأثر في إصلاح المجتمعات والأشخاص.

وأهم مقاصد الحج –وكل عبادة على الإطلاق – وهو المقصد الأساس من كل طاعة، تحقيق التوحيد، وتعميق العبودية لله، وإخلاص العبادة له سبحانه.

ولِمَ لا يكون المقصد الأهم هو تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك، وما أُمر ببناء البيت الحرام إلا لذلك، وقد قال جل شأنه : {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(1)، قال ابن كثير: (هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له)(2).

وتطهير البيت عنى به التطهير من الأوثان عند أغلب المفسرين، كما قال تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِن الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}(3)، وقيل من الأذى والنجس؛ وهو يشمل الأوثان والشرك، بل هما من أعظم النجاسة والأذى، وقد قال الله في مطلع الآية {لا تشرك بي شيئاً}؛ أي لا تجعل في العبادة شريكاً، ولا تشرك بي غرضاً آخر في بناء البيت(4)، وقوله تعالى: {وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ}؛ أي الشرك وقيل: قول المشركين في الأنعام هذا حلال، وهذا حرام وقيل: شهادة الزور أو الكذب (5).

إذاً؛ فالعلاقة واضحة جداً بين التوحيد والحج، كما في قوله تعالى: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}(6)، ولمّا فرض الحج في السنة التاسعة من الهجرة لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم، بسبب معالم الشرك التي كانت في محيط المسجد الحرام، مع أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حطم الأصنام قبلها بعام إلا أن المشركين ما زالوا يطوفون عراة، ويجعلون الحج موسماً ومهرجاناً للوثنية(7)، فأرسل النبي أبا بكر الصديق –رضي الله عنه– أميراً للحج، وأمره أن يبين للناس أمرين: (ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)، ثم لما نزلت أوائل سورة براءة بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – عليّاً أثر أبي بكر، فأذن بها في الناس بما فيها من أحكام قطعية، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال : «بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنًى، أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ» .(8)

هذا، وإن مظهر التوحيد يبدو جلياً واضحاً في العديد من المواقف والمشاعر المقدسة في فريضة الحج، فمنها : أن شعار الحج وهو التلبية، إنما هو إهلال وإعلان للتوحيد وإخلاص العبودية لله جل شأنه، وتلبية النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت : «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ».(9)

فهذه التلبية إيذان من الحاج والمعتمر بنبذ الشرك وعبادة ما سوى الله من شجر أو حجر أو كوكب أو حيوان أو إنسان، وتخصيص العبادة لله وحده، وإقرار من المسلم بأن قصد بيت الله الحرام إنما هو امتثال لأمر الله بتعظيمه(10).

وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– لما قبَّل الحجر الأسود، وقال: «إِنِّي

أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ، وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»(11).

فشتان بين من يقبل الحجر اقتداء برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبين من يعتقد أن الحجر يضر وينفع، والذي يقبل الحجر في الطواف مستناً برسول الله عبد لله، ومن يعظم سائر الحجارة مشرك مبتدع.

ومن مظاهر التوحيد في الحج ذكر اسم الله على الهدايا والذبائح التي تذبح لله، ولا يجوز أن تذبح لغيره، قال جل شأنه : {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}(12).

فالله سبحانه شرع لكل أمة من الأمم السالفة منذ عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى من بعده نوعاً من القربان، على أن يذكر اسم الله عليه، لا أن نذبح للأنصاب والأزلام، وإنما نذبح لله ونخلص له فيها (13)، ولهذا فإن على المسلم– وهو يذبح هديه أو يوكل أحداً بذبحه – أن يستشعر توحيد الله، وإخلاص العبادة له، فمنه كل شيء، وله سبحانه كل شيء.

ومن مظاهر التوحيد قراءة سورتي «الكافرون» و «الإخلاص» في ركعتي الطواف، عقب كل طواف منذ القدوم وحتى الوداع، فالأولى تقرر من خلال كلماتها وأسلوبها أن لا مكان لالتقاء التوحيد مع الشرك، والثانية تقرر التوحيد وتثبته بكل أنواعه.

ومن ملامح التوحيد أن الحاج إذا رقي الصفا مستعداً للسعي استقبل القبلة، وقال وهو رافع يديه: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»(14).

وفي عرفة، فشهادة التوحيد ينبغي أن تملأ أركان الموقف، إذ قال صلى الله عليه وسلم:

«خَيْرُ الدُّعَاءِ؛ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».(15)

ومن مظاهر التوحيد في الحج اعتناء النبي –صلى الله عليه وسلم– بإخلاص العمل، وسؤاله من ربه أن يجنبه الرياء والسمعة (16)، كما في حديث أنس –رضي الله عنه– مرفوعاً، قال : «اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةَ» (17)، فالتوحيد لا يكتمل إلا بالإخلاص، بأن يكون الباعث على عبادة الله طاعة الله ومحبته والخشية منه ورجاء ثوابه، لذا قال تعالى : {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ}(18)، وفي الحديث القدسي : «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(19).

والله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً له ، صواباً على السنة، وهذا هو العمل الحسن الذي أراده الله، كما قال : {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}(20)، وقال: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (21)، قال ابن كثير: (ولم يقل أكثر عملاً، بل أحسن عملاً، ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله عز وجل، على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل)(22)

فالواجب على الحاج اجتناب الرياء، ولا يتم برّ حجّه حتى يكون حجاً لا يقصد به سمعةً، ولا رياءً، ولا مباهاةً، ولا خيلاءً، ولا فخراً، ولا يقصد به إلا وجه الله ورضوانه، ويتواضع في حجه ويخشع ويستكين، قال شريح: الحاج قليل، والركبان كثير، ما أكثر من يعمل الخير، ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه(23).

إن واجب العلماء والدعاة والوعاظ أن يعلّموا الناس أمور دينهم، وأن يبينوا لهم حقيقة

التوحيد الخالص، الذي هو حق الله على العبيد، وأن يأخذوا بأيديهم بعيداً عن نواقض التوحيد والشركيات، سواء ما يتعلق بالشرك الأكبر أم الأصغر، واغتنام موسم الحج بنقل الناس إلى أكمل التوحيد، وتحذيرهم من كل نواقضه.

الهوامش :

(1) الحج: 26.

(2) تفسير ابن كثير، 3 /238.

(3) الحج: 30.

(4) مقاصد الحج في القرآن الكريم، د. عادل الشدي، مجلة جامعة أم القرى، ع 44، ذو القعدة 1429، منشورة على شبكة الإنترنت.

(5) زاد المسير، 1 /142، تفسير القرطبي، ج 11 /42.

(6) التوبة :3.

(7) زاد المسير، 1 /142، تفسير ابن كثير، 2 /367.

(8) صحيح البخاري، كتاب الصلاة ، باب ما يستر من العورة.

(9) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التلبية.

(10) مقاصد الحج، 16 – 17.

(11) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود.

(12) الحج: 34.

(13) تفسير ابن كثير، 3 /244، القرطبي، 11 /45.

(14) رواه مسلم، كتاب الحج، باب حج النبي صلى الله عليه وسلم.

(15) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة.

(16) أحوال النبي في الحج، د. فيصل البعداني، ص 14.

(17) سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الحج على الرحل.

(18) البقرة: 196.

(19) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

(20) الكهف: 110.

(21) هود: 7.

(22) تفسير ابن كثير، 2/479.

(23) لطائف المعارف، ابن رجب، 319 – 320 .

الحج عبر ومواعظ

الدكتور/ ياسر حماد - مدير دائرة البحوث والتوثيق

قسَّم الله تبارك وتعالى العبادات إلى أقسام، فمنها العبادات اليومية كالصلاة، حيث يصلي المسلم في اليوم خمس مرات، ومنها العبادات الأسبوعية كصلاة الجمعة، ومنها العبادات السنوية كصيام شهر الصبر؛ شهر رمضان، ومنها العبادات العمرية كالحج.

لا شك في أن تقسيم الشرع للعبادات بهذا الشكل لحكمة؛ فمثل هذه المحطات الإيمانية تعزز إيمان المسلم بربه، حيث تعمل هذه الشعائر على شحن العبد المؤمن بالعقيدة والثبات، في يومه وأسبوعه وسنته وعمره.

لقد منَّ الله تبارك وتعالى على إبراهيم -عليه السلام- بابنين؛ إسماعيل واسحق -عليهما السلام-، وكان قد وضع الله في الأرض مسجدين لعبادته؛ المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فعن أبي ذر قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ»(1).

قام إبراهيم -عليه السلام- بتوزيع ابنيه على المسجدين، فجعل الابن الكبير للمسجد الأكبر، وجعل الابن الصغير للمسجد الأصغر، لذلك وضع إبراهيم عليه

السلام زوجه وابنهما إسماعيل في مكة –بواد غير ذي زرع – فقد جاء في السنن(2):«ثُمَّ جَاءَ بِهَا (هاجر) إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ؛ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ؛ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ، حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}»(3).

ومضت الأيام والسنون، ثم أمر إبراهيم –عليه السلام– ببناء البيت من جديد، فقد جاء في صحيح البخاري أن إسماعيل –عليه السلام– عندما رأى والده قَامَ إِلَيْهِ، «فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ، وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ؛ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟! قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»(4)

ثم أمر إبراهيم –عليه السلام– بالنداء بالناس بالحج، {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}(5)، فوقف على صخرة الصفا، وأخذ ينادي حتى يقال إن الله أسمع صوته الإنس والجن وسائر الدواب، في شتى بقاع الأرض،

ومنذ ذلك الحين أخذ المؤمنون بالمجيء إلى بيت الله الحرام، فهم وفود الله؛ دعاهم فأجابوه، فعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»(6).

من فضائل الحج أن النبي صلى الله عليه وسلم جعله في المرتبة الثالثة بعد الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، «فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»(7)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (8)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»(9)

نعم؛ إن الحاج في سبيل الله ترك بلاده وأحبابه، ترك أهله وأولاده، قاصداً بيت الله الحرام، ومعظماً شعائر الله، فوفود الحجيج وفود مباركة، حيث تكبدت عناء السفر، والمشاق العظيمة من أجل الله وفي سبيل الله.

عبر وعظات:

فريضة الحج مليئة بالعبر والعظات، ويمكن تلمس هذه العبر من خلال مناسك الحج المختلفة، ومنها:

1. عندما يلبس الحاج ملابسه البيضاء؛ غير المخيطة، فإنه يترك الدنيا وزينتها، ويتوجه إلى الله سبحانه بأحب الألوان إليه؛ ألا وهو اللون الأبيض.(10)

2. في الحج إعلان للمساواة بين العباد، وإلغاء للفوارق الطبقية بين البشر، فجميع الحجيج يلبسون الثياب نفسها، ويقومون بالعمل نفسه، ويدعون بالدعاء نفسه، لا فرق

بين أسود ولا أبيض، ولا عربي ولا أعجمي، ولا سيد ولا مسود.

3. عندما يطوف المرء حول الكعبة، فإنه يعلن استسلامه لخالق هذا الكون، وانسجامه مع ذرات هذا الوجود تماماً كما تدور الكواكب والنجوم في الأفلاك التي رسمها الله لها.

4. وعندما يسعى الحاج بين الصفا والمروة، فإنه يستذكر أمنا هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام، عندما انقطعت بهم السبل، فتوجهت تلك المرأة المؤمنة إلى الله بالدعاء، فاستجاب الله لها، وفجر الماء من تحت قدمي الطفل الرضيع.

5. وعندما يقف الحجيج فوق صعيد عرفة يستذكرون يوم الحشر، حيث يقف الناس في صعيد واحد ينتظرون بدء الحساب.

6. وفي رمي الجمرات إعلان من المسلم للحرب على الشيطان وحزبه.

7. وعندما يذبح الحاج هديه؛ فإنه يستذكر قصة فداء أبينا إسماعيل –عليه السلام–، وكيف أن المسلم عليه أن يبذل الغالي والرخيص في سبيل الله تعالى.

8. أيام الحج هي أيام للسلم العالمي، وعلى جميع الصعد؛ الإنسان والحيوان والنبات، ففي هذه الأيام تتناسى الخلافات والأحقاد بين العباد، فلا يجوز التعدي لا على الإنسان، ولا على الحيوان ولا على النبات.

9. الحج مؤتمر إسلامي عظيم، يلتقي به المسلمون في كل عام مرة من كل بقاع الأرض، فهو أكبر ملتقى جماهيري عالمي، فلو استغل المسلمون هذه المناسبة، ليرتقوا فوق جراحاتهم، ويتناسوا خلافاتهم، ويتحدوا ضد أعدائهم، كما أوصاهم رسولهم صلى الله عليه وسلم، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَيْلَكُمْ، أَوْ وَيْحَكُمْ، قَالَ شُعْبَةُ: شَكَّ هُوَ، «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».(11)

10. الوصية بالنساء خيراً، حيث أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مؤتمر الحج الأول الذي حضره بنفسه؛ بهن خيراً، ودعا إلى احترامهن، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو

بْنِ الْأَحْوَصِ قال: «حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ،فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ، فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ، فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، إِنَّ لَكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوَطِّئَنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ؛ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»(12)

وفي الختام نوصي وفود الحجيج التي تتجه إلى بيت الله الحرام قاصدة تعظيم شعائر الله، ألا تنسى القبلة الأولى؛ بيت المقدس، والمسجد الأقصى، فإن هذا المسجد أمانة في أعناق المسلمين، عليهم ألا يفرطوا فيه، وإن الواجب يملي عليهم تطهير هذا المسجد من دنس المشركين، وعباد الأوثان؛ حتى يعود المسجد إلى أصحابه، ويرتفع صوت الأذان فوق مآذنه الحزينة.

الهوامش:

1. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:{واتخذ الله إبراهيم خليلاً}.
2. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:{واتخذ الله إبراهيم خليلاً}.
3. إبراهيم :37.
4. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:{واتخذ الله إبراهيم خليلاً}.
5. الحج: 27
6. سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك، باب دعاء الحاج.
7. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور.
8. صحيح مسلم، كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة.
9. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها.
10. انظر مرقاة المفاتيح: الفصل الثاني:4 /108، وانظر موقع الباحث الإسلامي: http://www.islamicfinder.org/prophet/list.php?lang=arabic
11. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك.
12. سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج.

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا

الشيخ / جميل جمعة ـ مفتي محافظة سلفيت

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على دربه، واتبع هداه إلى يوم الدين.

يقول الله جل و علا: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} (1)

الحج لغةً:القصد. وشرعاً: قصد بيت الله الحرام في مكة المكرمة، في وقت مخصوص، على وجه مخصوص، لأداء أعمال مخصوصة.

وهو ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه، أوجبه الله على المستطيع القادر في العمر مرة، قال تعالى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (2).

فموسم الحج من ضمن مواسم الخير التي امتن الله بها على عباده، فيها تضاعف الحسنات، وتمحى السيئات، وترفع الدرجات.

إن رحلة الحج رحلة مباركة، وهجرة إلى الله تعالى تقوم على توحيد الله والإخلاص له، وتلبية دعوته، وطاعته، وأجر الحج أجر عظيم، فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة،

لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»(3).

إنه رحلة العمر إلى الله، فيه يبايع الحاج ربه على التوبة والاستقامة. فعلى التوحيد أقيم هذا البيت منذ أول يوم رفعت قواعده، قال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(4). فيعلن الحاج منذ بدء إحرامه (اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة). ثم إن هؤلاء القوم يجتمعون في هذا المكان، سيتفرقون تفرقاً لا لقاء بعده، فرب واقف بعرفة لن يقف بعدها أبداً، ورب حاج حج في هذا العام لا يأتي عليه هذا اليوم إلا وهو تحت التراب.

فليغتنم الحاج هذه الفرصة، فقد لا تعود أبداً.

فالحج شرع لتأكيد التوحيد وتجديده، فكل من لبى بالحج يفتتح كلامه بالتوحيد، سواء كان ملكاً أو مملوكاً، رئيساً أو مرؤوساً، غنياً أم فقيراً، حراً أم عبداً. يقول عليه الصلاة والسلام: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(5).

فبين الحديث أن خير الدعاء ما قاله الأنبياء؛ وهم أفضل الركب البشري، بعثوا ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده، وليس إلى عبادة أنفسهم، ولهذا قال الله عنهم وعن الملائكة: {وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}(6). وحث سبحانه على دعوته وحده دون ما سواه، فهو المنان الكريم الذي بيده كل شيء، فخزائنه لا تنفد، قال تعالى: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(7).

وقال أيضاً: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (8).

وأمرنا سبحانه وتعالى بسؤاله مباشرة دون واسطة أو شفيع، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (9).

وتوعد من يدعو أو يعبد أو يمجد غيره بالوبال والعذاب الشديد يوم القيامة، قال تعالى: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (10).

الحج رحلة الخروج من الأوطان، وسلوك هذه الفجاج العميقة، ملبين دعوة ربهم، ونداء أبيهم إبراهيم عليه السلام، مرددين ما ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «... لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ... » (11).

فحري على الدعاة والمرشدين أن يأخذوا بأيدي الحجاج، فينصحوهم ويرشدوهم بكل صبر وحكمة ورحمة، والحكمة هي كيف تصل إلى قلب المخاطب دون أن تنفره، أو تكفره، أو تتعسف به وبإنسانيته، حينها يقبل الحجاج على الدعاة راغبين مطيعين مذعنين لما يقولون، فالعبادة في حقيقتها تعني خروج العبد من مراده إلى مراد ربه.

ومن طبيعة العوام وجهلائهم أن تسرع إليهم المعتقدات الباطلة، لذا فهم بأمس الحاجة إلى التذكير بأن المقصود هو عبادة الله، وأن شعائر الحج مستفتحة بالتوحيد، مؤسسة عليه، وأن الغاية منه تحقيق العبودية الخالصة لله وحده.

ومما أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الخليفة الراشد الملهم، قوله حين قبَّل الحجر: (إنني اعلم أنك حجر، لا تضر، ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك).

ومما يجدر ذكره فإن الحج وحدة في الزمان والمكان أيضاً، وفي جميع آليات التنفيذ في كل مشعر من المشاعر. فاللباس موحد، والنداء والشعار موحد، والجموع كلها تردد ملبية «... لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ ... »(12).

فأي معنى من الوحدة أعظم من هذا المعنى، إنهم يقفون في صعيد عرفات حاسري الرؤوس، مكتسين بالبياض، لا فرق بين غني وفقير، ولا أمير ومأمور، ولا كبير وصغير، ولا عربي وأعجمي، كلهم سواء كأسنان المشط، وكلهم متوجهون إلى الله أذلاء خاشعين، يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه.

وفي الحج ذلك الاجتماع الإسلامي الكبير يلتقي العامة العلماء، فينهلون من علمهم، ويستنيرون برأيهم، ويلتقي علماء الأمة بعضهم بعضا، فيتدارسون ويتذاكرون فيما بينهم من مسائل العلم والفقه وما يهم الأمة الإسلامية.

إن الحج فيه المعاني العظيمة الدينية والتربوية، وذلك المؤتمر العظيم، والموسم البهيج، لو استغل خير استغلال، لرجع بالفائدة العظيمة على الأمة جمعاء.

ولقد نَبَّهَ الله عباده المؤمنين إلى هذا المعنى، قال عليه الصلاة والسلام: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ؛ إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ»(13).

فالمسلمون تجمعهم كلمة التوحيد وتربط بينهم العقيدة، دستورهم كتاب الله، وإمامهم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهم يد على من سواهم، مهما تباعدت أوطانهم واختلفت ألسنتهم.

أمر الإسلام المؤمنين بالتعاطف والتكاتف، واجتماع الكلمة وتآلف القلوب، لأن اجتماع الكلمة ووحدة الصف منعتهم وقوتهم، ونهاهم عن التفرق والتنازع، لأن

التنازع ضعفهم وذهاب ريحهم وضياع عزهم.

فالدار تكون حرزاً لساكنيها ما دام بنيانها قائماً، فإذا ما تصدع البنيان، ولم يسرع أهلها إلى رأب الصدع، وإصلاح الخلل، وإقامة المعوج، فإن البنيان ينهار، وتتفرق أحجاره، ويتعرض أصحابه لأخطار كثيرة.

لقد أرهقنا وأضر بنا ما نراه من التمزق والفرقة بين الأقطار الإسلامية، حيث ذهب بالغالي والنفيس، وبجهود المخلصين من هذه الأمة، بسبب إفراطنا في الأنانية والذاتية، وعدم وجود الرحمة فيما بيننا.

فاستغل عدونا فرقتنا وتشتتنا، فاغتصب الأرض، وهتك العرض، وقتل الأبرياء، وهدم المنازل، دون أن يجد وقفة جادة شجاعة من الأمة تردعه عن غيه، وتره إلى صوابه.

اللهم وحد كلمتنا، واجمع شملنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، واحفظ حجاجنا وعمارنا، أنت سميع مجيب، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

الهوامش:

1. الحج:27.
2. آل عمران:97.
3. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها.
4. الحج:26.
5. سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب في دعاء يوم عرفة.
6. الأنبياء:29.
7. النحل:96.
8. فاطر:15.
9. البقرة:186.
10. المؤمنون:117.
11. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب التلبيد.
12. الحديث السابق.
13. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

ختم النبوة واكتمال الدين
الرمز والدلالة

الدكتور/ حمزة ذيب- جامعة القدس

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم وبعد؛

فقد اقتضت سنة الله تبارك وتعالى ومشيئته خلق السموات والأرض، وجعل الإنسان خليفة على ظهر هذا الكوكب لغاية جليلة وعظيمة، ألا وهي عبادة الله تبارك وتعالى، قال جل شأنه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}(1)، وكان ذلك يقتضي هداية وإرشاد بني آدم، ودلالتهم طرق الخير والبر والمعروف، وعلى رأس دروب الخير توحيد الله وعبادته ـ كما أمر وشرع ـ ونفيُ الشريك والند عنه جل شأنه، كما يقتضي الأمرُ تبصيرَ العباد طرق الغواية والضلال والشرك، وسبل الشر، والانحراف عن الجادة والاستقامة، كي ينأى الإنسان بنفسه عنها، فمنح الله تعالى الإنسان العقل الذي يميز به بين الخير والشر، والصواب والخطأ، والهداية والضلال، قال تعالى {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}(2)

كما أرسل الله تبارك وتعالى رسلاً لبني آدم منذ خَلَقَ الله آدم، حيث كان نبياً ورسولاً،(3) وحتى محمد بن عبد الله صلوات الله عليهم أجمعين. وما بينهما كان أمما وأنبياء، قال سبحانه: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ}(4) .

وقال جل وعز: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}(5)

إذ إن هناك الرسلَ الكُثر {مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ}(6).

حيث الصوارف عن الطرق القويمة وسبل التعرف على الله وعبادته وفق ما يرتضيه الله سبحانه كثيرة ومتنوعة. إذ بدأ الإنسان من آدم وذريته بالتوحيد إلى أن انحرف عن المسار شيئاً فشيئاً، حتى أشرك مع الله، فطرأ الخلل على التوحيد الخالص، وتعددت مسارات الإنسان حول فلسفة الإلوهية والعبادة (7)، فنشأت طرق الضلالات والغواية، وانقلبت الموازين الحق، وتشعبت بالإنسان الدروب حتى غدا تائهاً، حائراً، شاكا، متردداً، لا يلوي على هداية ورشد وصواب. فكان لابد والحالة هذه من أن يرسل الله تبارك وتعالى ما بين الفينة والأخرى، رسلاً وأنبياء يُعرّفون الناس بالعقيدة الحقة، ويدلونهم على التوحيد الذي لا شريك فيه، ويبصرونهم بما هو ضروري، وما يحتاجون إليه في مجال عبادة الله جل شأنه، ويضعون أيديهم على القانون والنظام الإلهي الحق، فلا رشد دونه، ولا هداية وهم ضالون عن طريقه، ولا نجاة وهم في منأى عنه، ولا استقامة وكلهم ليسوا على سننه وجدده، كما أن الإنسان ليحتاج بين الحين والآخر لمن يُذَكره بالحق والخير، ويأمرُه بالعدل والإنصاف وتحري الحلالَ والمشروع، والحضّ على البر وصنائع المعروف، والتعرف على سبل الله سبحانه وطرائق مرضاته، كما يحتاج بين الحين والآخر أيضاً إلى من ينهاه عن الوثنية والأساطير والخرافات، وينهجُ معه وفق معايير الصواب والصحة، ويعدلُ من مساره في طريق الخطأ والخطل.

كما يطرأ على حياة الإنسان باستمرار طروءاتٌ كثيرة، ومستجداتٌ متنوعة، وتختلفُ حياة الإنسان من عصر إلى عصر، ومن طور إلى آخر، ومن قرن إلى ثانٍ، وكل ذلك مدعاة لأن يقف الإنسان في زمنٍ ومرحلةٍ الوقْفة المناسبة، ويعلمَ العلم الذي يناسب كل فترة ووقت، ويأخذ المناسب له ولحياته من أنظمة وقوانينَ وتشريعات.

فكان والحالُ هذه لا بد من الرسالة تلو الرسالة، والنبيّ تلو الآخر تصحيحاً للمسار، وتثبيتاً للأقدام على الصراط السوي، وأخذ المناسب والملائم في كل حين، وتبياناً لكل شيء من مستلزمات وضرورات المعاش والمعاد، فعلى هذا كانت الرسالات السماوية، وتعدد أنبياء الله، فكان نوح، وداود ، وسليمان، وإبراهيم، وموسى، وعيسى وأمثالهم

حتى كان محمد بن عبد الله صلوات الله عليهم أجمعين فكان نبي الله محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وكانت رسالته آخر الرسالات السماوية الهادية إلى الأرض والناس أجمعين قال تعالى:{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }(8) بل شملت رسالته صلوات الله عليه الجن والإنس.

غير أنها كانت مختلفة عن سابقاته، إذ كانت الرسالات السماوية السابقة تأتي لقوم أو تنتهي مع نهاية النبي والرسول، فكان التجديد تلو التجديد، والرسالة تلو الأخرى، والتعاليمُ المتغايرة من قوم لقوم، ومن رسول إلى آخر، أما رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهي نهاية المطاف في الرسالات، وصاحبها هو الخاتم في ميادين النبوة والأنبياء، فجاءت رسالةً كاملة شاملة، رسالة حملت في طياتها أسس التوازن والشمول والثبات وأركانها، فقد وازنت ما بين الدنيا والآخرة، ومطالب المعاش والمعاد، وضرورات العاجلة والآجلة، قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}(9)

كما أنها لم تترك شاردة ولا واردة من احتياجات الإنسان وأقواله وأفعاله، أو اتجاهاً من اتجاهاته ورغباته وميوله إلا أعطته حكماً شرعياً مناسباً يخدم غرضه في الدنيا، وتطلعاته المستقبلية للدار الآخرة ، فكان دور خاتمة الرسالات، ونهاية المطاف في النبوات معالجة جميع شؤون الإنسان وقضاياه كافة، كما لبت حاجاته ومطالبه الفطرية، ونظمت جميع غرائزه وميوله ودوافعه،(10) ولما كانت الرسالة الإسلامية هي الأخيرة في الرسالات والنبوة، وفي طياتها التكاملُ والتوازنُ والشمول، وعليها يصلح أمر الدنيا والآخرة، وبها اكتمل الدين، وارتضى الله سبحانه الإسلام ديناً قيماً للناس جميعاً، قال سبحانه:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}(11) وقال جل وشأنه: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (12) كانت حينئذ الرسالة الإسلامية ناسخة للأديان والرسالات السابقة، تلك الرسالات

والديانات التي جاءت لتعالج شؤون قوم أو مجتمع معين، وكانت تناسب مرحلة زمنية مضت وانتهت، وانتهى النبي وزمانه وعصره، فلم تعد تلك الديانات صالحة لما بعد ذلك من الأزمنة والعصور وشؤون بني الإنسان، إذ ليست الغاية من الدين والنبوة جانب العبادة فحسب، بل لا بد من أن يلتزم الإنسان بكل أوامر الله سبحانه، ويلتزم بكل مقتضيات الشريعة، وهناك في الرسالات أوامر التوحيد، وأوامر العبادة، وأوامر الشريعة والنظام والقانون، جاء في القرآن العظيم عن شعيب وقومه ورسالته:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ*وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}(13)، وقال سبحانه:{قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}(14).

فخطاب الله سبحانه وأمرُه لقوم شعيب كما نرى ليس متعلقاً بجانب العبادة وحسب، بل يشمل جانب التشريع والتقنين وترتيب أمور الحياة أيضاً(15) وكان النعي عليهم في عدم التزامهم بالأمرين، وهكذا مقتضيات الشرائع والرسالات، فكانت تلك الرسالات خاصة بتلك المجتمعات والأزمنة التي عاصرتها، ولم تعد صالحة لكل الأقوام وفي الأزمنة والأوقات كافة، فكانت الضرورة تقتضي تشريعاً سماوياً بين الحين والآخر، حتى يتناسب هذا التشريع مع الواقع الجديد، والمغاير لما سبقه من وقائع وفترات، تماماً كالمناهج الدراسية التي تتغير بين الفينة والأخرى، كي تتناسب مع متطلبات العصر والواقع الآخر الجديد .

ولما كان الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للناس كافة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(16)، فقد كانت مبادؤه عامة، وشاملة، وكاملة ومتوازنة، وجاءت نصوصه بالإضافة إلى عموميتها مرنة محتملة حتى تكون قابلة للاجتهاد المستمر، وحينما نُعّرفُ

الفقه نقول: هو معرفة الأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية، الناظمة لأحوال العباد، الآخذة بأيديهم إلى سبل الخير والرشاد (17)، وجاء في مقدمة كتاب «رحمة الأمة في اختلاف الأئمة» بعدما تعرض المحققان للكتاب إلى قضية الفقه والاجتهاد والاستنباط، وسوق رأي ابن الأثير الجزري في موضوع إثبات القياس والدفاع عنه، ما نصه (18): لقد كان هذا السلوك ـ أي الاجتهاد والاستنباط والقياس ـ دينهم في كل ما يعرض لهم من المشكلات والمسائل، وكان يتبع هذا المنهج كل قاضٍ منهم، ويترسمه كل مفت فيهم، ولا يكاد أحد منهم يشذ عنه أبداً، ولقد كان في أذهانهم ـ أي الصحابة رضي الله عنهم ـ قواعدُ الاجتهاد ومبادئُ العلم وضوابطه، فهم يعلمون مدلول الأمر، كما يعرفون مقصود النهي، ويعلمون ما تدل عليه العبارات، وما تقتضيه الإشارات، ويعرفون مدلول العام، ووظيفة الخاص، وحكم المطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، كل هذا وغيره من قواعد الاجتهاد كان مفهوماً لديهم، وإن لم يكن مكتوباً عندهم في كتاب، أو مدوناً في سفر .

نعلم من كل ما ذكرناه أن دائرة المصادر التشريعية توسعت بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ولم تعد قاصرة على الكتاب والسنة، بل وجد إلى جنبهما الإجماع والقياس، ولربما برز مبدأ الاستصلاح والعملُ بالمصالح المرسلة، ومبدأ سد الذرائع وغيرُ ذلك من المصادر التي وَجد الصحابة وجها لوجه معها، وكان طبيعياً أن يختلفوا في بعض المسائل والأحكام نظراً لتفاوتهم في سعة العلم وثقوب الفهم، وإن كان اختلافهم(19) ـ إذ ذاك ـ طفيفاً، لأن رقعة بلادهم التي كانت مسرحاً لاجتهادهم محدودة في حدود جزيرتهم، وكانت الأحداث فيها متشابهة تقريباً، والناس متقاربون غالباً، ولم يكن جل الصحابة بعد قد تفرقوا في الآفاق وانساحوا في البلاد.

فلما اندفعوا ـ رضي الله عنهم ـ خارج حدود جزيرتهم، وهم يحملون راية الإسلام، ويرفعون لواء العلم، وتخطوا البلاد المتاخمة، رأوا ما لم يكونوا يعهدونه من المشكلات والمسائل، وكان عليهم أن يُفتوا فيما يَعرِض لهم، ويجتهدوا فيما يسألون عنه، وقد فعلوا،

فأفتى كل منهم بما لديه من العلم ، متبعاً قواعد الاجتهاد وضوابطه، متحرياً الحق فيما يقصده، طالباً رضاء الله عز وجل فيما يسعى إليه من البحث عن الحكم الصحيح، والحل الأمثل، وكانوا مطمئنين إلى مواقع خطاهم، غير وجلين مما يجدون أنفسهم قد وصلوا إليه من الرأي، وقرروه من الحكم، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أثلج صدورهم، وثبت أقدامهم على دروب البحث والاجتهاد بقوله : «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ»(20) أ هـ .

وفي ضوء ذلك، لم يكن بوسع الشريعة الإسلامية أن تكون صالحة لكل زمان ومكان وخاتمة الشرائع، ما لم تكن كذلك من عمومية النصوص والأدلة، وفتح باب الاجتهاد كي يكون بوسعها مواكبةُ كل جديد وتطور، وتناسبَ الأزمنة والمواقع المختلفةِ والمتباينة. هذا الأمر واجب متحتم في حق الأمة الإسلامية، لا يجوز لها أن تختلف فيه أو تقصر عنه أو لا تواكبَ كل جديد، وتطور نافع مفيد، حيث عجلة الحياة تدور، ولا تقف عند حد، ولا تنتظر أحداً، فإن لم تكن الأمم والشعوب تدور مع هذه العجلة وتسير في خط متوازٍ مع دواليب النهضة والعلم المتطور، والثقافة المختلفة، والتقنيات الحديثة، والتقدم الصناعي والزراعي والتكنولوجي حيث نعيش ونحيا، وإلا ستتخلف لا محالة، والأمة الإسلامية من جنس الأمم، إن لم تكن سباقة للأخذ من كل فن خير ونافع وضروري للحياة، وإن لم يفتح علماء المسلمين الطريق الشرعي إلى ذلك من باب الاجتهاد والاستنباط وإعمال النصوص وتوظيفها لخدمة خاتمة الرسائل وأمتها، إن لم تكن كذلك، وإلا سيكون التخلف والجمود وبالاً عليها، وستكون ردةً عكسية تجاه هذه الرسالة الخالدة، وسيحكم حينئذ على أمتنا بالتخلف، وهذه مردودها سلباً على الإسلام دين الله الخالد، الذي ارتضاه الله ديناً قيماً للبشرية جمعاء، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الجمود والتقليد وإغلاق باب الاجتهاد، والاقتصار لدرجة القداسة أحياناً على القديم، هي من أهم أسباب تخلف الخلافة الإسلامية في

العصور المتأخرة حيث القرن التاسع عشر والعشرون الماضيان، وكان ذلك سبباً كبيراً ومباشراً للقضاء على تلك الخلافة والانسلاخ عن التاريخ والرسالة، وإعلان العلمنة في عاصمة الدولة الإسلامية التي استمرت ستة قرون طويلة، كان الغرب في تلك الآونة يطور نفسه يوماً أثر آخر، وعمل في مجتمعه وبيئته الثورة العلمية الصناعية، واستحدث من وسائل التقنيات في مجالات الحياة كافة، وعلى رأسها ما يخدم الدولة والشعب في المجال العسكري والمنازلات والحروب، حتى أجهز على دولة الإسلام، في حين كان علماء الإسلام وقتئذ يجتمعون لساعات طويلة مختلفين ومتنافسين، هل البندورة حرام أو حلال، حيث كانت هذه الثمرة جديدة على الحياة؟ حينئذ رأى الجيل الجديد الذي شهد العصرين أن فرقاً شاسعاً بينه وبين الجيل الأوروبي الغربي، وأن فرقاً هائلاً وشاسعاً بين حياة الغرب التي شهدت وتشهد التطورات الكبيرة والسريعة، وحياة الأمة الإسلامية التي يخيم عليها الجهل والأمية والتقليد، وأن حياتهم خاليةٌ من أي إبداع أو تقدم أو تطور، وأحس الجيل الناشئ والشبيبة أن المسافة بيننا وبين الغرب المتقدم هائلة، فانقلب ـ جهلاً منه ـ على عقبيه، ولم يستطع للذهول الذي ألم به أن يجمع بين الثوابت التي عنده والمتغيرات التي طرأت على حياته، ولم يجد بل لم يكن لديه إلا الاستعداد ليقف طويلاً متأملاً ومفكراً، وساعدت على هذا النكوص عوامل أخر، لسنا بصدد ذكرها أو بحثها، كل ذلك أدى إلى الردة الثقافية والحضارية، وساعد كله في الانسلاخ عن الذات والأصالة، وفي تقديري، كان لعلماء تلك الفترة حصة الأسد في سلبيات ما حصل، ولذا يجب أن تكون لنا في تلك المرحلة أكبر عظة، وأبلغ عبرة، وأن نستفيد منها قدر المستطاع.

من هنا جاء اهتمام خاتمة الرسالات ونهاية المطاف في عالم النبوات بالعلم اهتماماً كبيراً وعظيماً، لدرجة أن أول آية تنزل من السماء «اقرأ» فنزل الأمر بالعلم قبل أن ينزل أمر الصلاة والصيام، وقبل أن ينزل أمر الجهاد والاستشهاد، وقبل أن تنزل أوامر التشريع والتقنين وتنظيم أمور المعاش والمعاد .

كل ذلك لأن العلم هو الأساس في كل ما تقدم، إذ إن أوامر العبادة، وفقه أسرارها، وإدراكُ الحكمة من ورائها لا يتأتى للجاهل وغير العارف والعالم، كما أن الإحاطة بأحكامها وواجباتها وشروطها وأركانها ـ وهي الأصل في العمل المقبول بعد النية الخالصة لله ـ لا يتأتى أيضاً من خلال الجهل والأمية والتخلف .

كما أن الأمة المجاهدة والمقاتلة لا تتمكن من النصر، وليس بوسعها الاستمرار في القوة والمنعة والغلبة، ما لم تكن متمكنة من كل أسباب ذلك، بل لا تكون لديها القدرة على المحافظة على هذه النفس والشخصية، والذود عن حياضها عقيدة، ونظاماً، وسيادة، وكل ذلك يترافق ولا يتصاحب إلا مع العلم، أكبر دليل على ذلك ما تعيشه الأمة الإسلامية في أيامنا هذه ووضُعها، مقارنة مع الغرب المتطور والمتقدم في كل مجالات الحياة بما لا يخفى على أحد، من هنا جاء اهتمام الإسلام كبيراً بالإعداد والاستعداد لخوض أية معركة، كما في قوله سبحانه: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة}(21)، أي ما تقدرون عليه وتستطيعونه دون تقصير في شيءٍ أو جانب.

ولذلك ذهب علماء المسلمين إلى أن تعلم العلوم الضرورية للأمة الإسلامية، والتي هي بحاجة إليها في دنياها حتى تبقى أمة سليمة، قوية، مهابة عزيزة فرض كفاية، أن تعلمها بعضهم سقط الإثم عن الجميع، وإن لم يتعلمها أحد أثمت الأمة كلها، لذلك رأينا هذا حياً وواقعاً في ظل الحضارة الإسلامية طيلة فتراتها التاريخية الذهبية، فلم يترك المسلمون فناً من فنون الحياة والعلم إلا خاضوا غماره وأجادوه وأحسنوا الصنع فيه وأتقنوه أيما إتقان.

وفي مجال التشريع والتقنين ووضع الأنظمة والدساتير وترتيبها هل يتأتى ذلك بغير علم، بل ودقة ونظام؟

من هنا يجب على الأمة الإسلامية كي تبقى أمة معتبرة بين الأمم ، ولها شأنها وشأوها، ولها مكانتها وقيمتها ووزنها، ويكون لديها القدرة على حياطة الشريعة وجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وأن تكون أهلاً لحمل هذه الأمانة والرسالة وأدائها على أكمل

وجه، يجب عليها أن تولي العلم الاهتمام الأكبر والأعظم، وأن تحاول جاهدة الإفادة مما عند الآخرين من خير وتقدم ونماء وتطور في مجالات الحياة المفيدة، والتي لا تتعارض مع مبادئ الدين الحنيف، كما عليها التشمير عن ساعديها حتى تنهض بأبناء الأمة في جانب العلم الشرعي، كي يتوافر فيها العلماء المجتهدون والمتضلعون في قضايا الدين الحنيف، والمتبصرون في أحكامه، فلا يجوز أن يغلق باب الاجتهاد أمام خاتمة الرسالات التي من بدهياتها أن تكون صالحة لكل زمان ومكان، ولكل مجتمع وبيئة وقوم، كما لا يجوز أن يغلق باب الانفتاح على العالم ومعرفة شؤونه وقضاياه، حسناته وسيئاته، ومناقبه ومثالبه، وبخاصة في هذا الزمن، زمن التطور المذهل والتكنولوجيا المتقدمة ولاسيما في مجال الإعلام والمواصلات والاتصالات، حيث جعلت هذه الوسائل من العالم مدينة واحدة، فليس بوسع أحد أو مجتمع أو أمة أن تغلق الباب دونها أو تَحجر على أفرادها ومجتمعها، فإن لم تجد الإفادة من كل نافع وخير، وتوظفْ ما لديها من استعدادات وقدرات وإمكانات وتقدم في سبيل رفعة مواطنيها ووضع أقدامهم على الجادة والسبل الخيرة، وفتح المجال أمام الجيد والحسن، وإغلاقه دون الردئ والسيء والضار، وذلك بالبديل الأنفع والأحسن والمختلف، وإلا فستجدْ نفسها وجهاً لوجه أمام الضعف والضياع والانهيار والانصهار في بوتقة الآخرين، وتذويب الشخصية، وفقدان الهوية، ولربما بعد ذلك مصادرة الكرامة والاستيلاء على البلاد والعباد، وما أكثر الأمثلة الحية على ذلك قديماً وحديثاً.

وهذا واجب كبير يجب على الأمة الإسلامية أن تضطلع به، وبخاصة علماءها وفقهاءها ومفكريها، دون أن يكون تشدد وتزمت أو بعداً عن الرخص أو الوسطية في المنهج، أو إغلاق العقل دون يسر الإسلام وسماحته {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}(22)، ليكن المنهج لدينا ما خطه الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حينما وجههما قاضيين إلى اليمن، حيث قال لهما «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» (23)، وبخاصة في زمن التقدم في كل

المجالات، وصرخة العولمة في مجالات كثيرة، ولكن في الوقت نفسه دون أن يكون هناك تجاوز لحدود الله أو انتهاك لحرماته، أو مقارفة للمحرم والمنكر، ولا تكون الرخص أو التيسير في جانب المحرمات، وما فيه نص وبيان لا لبس فيه.

وهناك أمر آخر في غاية الأهمية ينتظر علماءَ هذه الأمة ومفكريها، ألا وهو الشق الآخر من حديث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري آنف الذكر، ألا وهو «وتطاوعاً ولا تعاصياً» أي اتفقا ولا تختلفا، لأن الخلاف أيها الأخوة الفضلاء والباحثون الأجلاء شر(24) وقد نهى الله تبارك وتعالى عنه في كتابه الكريم، فقال سبحانه: {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ}(25).

قال العلامة الشوكاني في تفسير هذا النص: ونهاهم عن التنازع وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل، وذهابُ القوة والنصر أ. هـ (26)

وحينما أمر الله تبارك وتعالى باتحاد الأمة واعتصامها بحبل الله، نهى عن الفرقة والتشرذم المضعف للقوة، والمميع للمواقف، والمذْهِبِ للعزة والكرامة، فقال سبحانه: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}(27) .

إننا نعيش زمناً لا تحيا أمتنا الإسلامية على هامشه، ولا يؤبه بها كثيراً فحسب، بل هي شبه مغيبة عن أحداثها وقضاياها وما يقض مضاجعها، فضلاً عن قضايا سواها من الأمم، كأن حالها ما قاله الشاعر:

ويُقضى الأمرُ حين تغيبُ تيمٌ ولا يستأمرون وهم شهودُ

وإلا كيف نفسر استئصال شأفه المسلمين هنا وهناك، والتعدي على مصالحهم وحقوقهم، وانتهاك حرماتهم، وإهلاك حرثهم ونسلهم، دون أن يكون هناك أي حساب لشيء اسمه أمة الإسلام؟

وإلا كيف يغيب الإسلام، وتغيب أحكامه، ولا يُسمع لشرعه ويطاع، دون مبالاة أو حساب لأحد من أفراد هذه الأمة أو مجموعها؟

إذا اعتدي على بعض أفراد إحدى الأمم تقوم الدنيا ولا تقعد، أما إذا استُأصل شعب

مسلم بأكمله لا يتحرك لأمتنا ساكن؟

إن الاعتصام بحبل الله جميعاً وعدم التنازع والفرقة لهو السبيل العريض لإنقاذ هذه الأمة مما هي فيه من الضعف والتطاحن والتشرذم، وبالتالي لا يجوز لقادة الرأي في هذه الأمة وعلمائها ومفكريها التنازع والاختلاف المفضي للكراهية وإذهاب الريح، إن نقاط الاتفاق على أرض هذه الشريعة والأمة كبيرة وكثيرة، فلماذا نتركها حين النقاش والحوار، ومحاولة رأب الصدع، ولم شمل الكلمة وتوحيد الصف؟ لماذا نركّز في حوارنا على نقاط الخلاف، في حين هي قليلة، وقليلة جداً، مقارنة مع نقاط الاتفاق، وما تقتضيه مصلحة الأمة العليا من أهداف وغايات جليلة وعظيمة؟

لماذا نجعل من نقاط الخلاف أصلاً وقاعدة ننطلق منه لفض النزاع وإنهاء الشقاق بين أطراف الأمة الواحدة ، ولن نصل لمبتغانا والأمر كذلك؟

لماذا نجعل من نقاط الخلاف نقاطاً رئيسة ومهمة، وكأن مدار الأمر كله عليها، في حين هي نقاط بسيطة وفرعية وهامشية أمام الأصول والقواعد العظيمة التي تقوم عليه خاتمة الرسالات، وأمتنا الإسلامية حاملةُ ووريثةُ هذا الفخار والشرف العظيم؟

أين دور قادة الرأي وصناع القرار والرجال في أمتنا الإسلامية؟ لماذا لا نجعل من الاهتمام بهذا الأمر الجلل قضية كبرى ننحني أمامها ونعطيها ما تستحقه من البحث وعقد المؤتمرات والندوات، على غرار المؤتمرات الإسلامية التي تحدث في البلاد الأوروبية، على صعيد التوجهات والآراء المختلفة التي لا نجني منها سوى تجذير الخلاف، واتساع الهوة بين أبناء الأمة الواحدة فرادى وجماعات؟ لربما لهذه المؤتمرات نصف وجه مشرق ومضيءً، غير أن النصف الآخر قطعاً لا يخلو من الظلمات وليلها البهيم.

ألا يكفي ما لهذه الأمة من أخطار محدقة بها من كل جانب؟ أما يكفيها الجراد الكثيف القادم إليها من الخارج، يهاجم زرعها وخيراتها، وهذا التشبيه على سبيل المجاز؟

ألا تكفيها المناخات والأجواء شبه المسممة تجاهها ونحوها من أعدائها والمتربصين بها الدوائر؟ ألا يكفيها كل ذلك وغيره مما لا يخفى على كثير من العامة والدهماء،

فضلاً عن القادة العقلاء والمفكرين والعلماء، حتى نجعل من أنفسنا وفرقتنا وتنازعنا واختلاف الرأي المفسد لقضايانا سهاماً مسمومة في أجسامنا ومن صنع أيدينا ؟

ونذكر العلماء والمفكرين إن دوراً عظيماً وواجباً كبيراً تجاه خاتمة الرسالات التي اكتمل الدين بها لينتظرنا، وإن أمانة كبرى وجسيمة تجاه هذه الرسالة الخالدة لنحملها وسنسأل عنها، وأية أمانة هي {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ}(28).

إننا نجد في الدين القويم معالجة لشئون الإنسان كافة، وتلبية لجميع احتياجاته الفطرية، وتنظيم غرائزه وميوله ودوافعه.

ومن قبل ومن بعد أي فضل للعرب على الصعيد العالمي إن جرد فكره وجردت حضارته من الثقافة الإسلامية؟

وفي نهاية التطواف نحمد الله تبارك وتعالى أن جعلنا من أمة الإسلام والمنتسبين لهذه الشريعة الغراء الخالدة خلود الدهر والأيام، سائلين المولى سبحانه أن يجعلنا من حماتها والذائدين عن حياضها والناصرين لها على الدوام .

وأخيرا وليس آخراً؛ نختم بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا نبي بعدي».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

1. الذاريات: 56.
2. البلد: 10.
3. انظر تفسير القرطبي : 1/ 225.
4. فاطر: 24.
5. إبراهيم: 4.
6. غافر: 78.
7. انظر كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» للعلامة الفقية ابن حزم، وكتاب «الملل والنحل» للشهرستاني، وكتاب «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» للمؤلف نفسه، وكتاب «أديان الهند الكبرى» للدكتور أحمد شلبي، ومحاضرات في النصرانية للعلامة محمد أبو زهرة، وكتاب «الله» للأستاذ الأديب عباس محمود العقاد. وغيرهم فمن كتب في مقارنة الأديان، والملل والنحل .

8. الأحزاب : 40.

9. القصص: 77.

10. انظر الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها (1) : ص 13.

11. المائدة: 3.

12. آل عمران: 85.

13. هود: 84 – 85.

14. هود: 87.

15. انظر تفسير هذه الآيات في (الجامع لأحكام القرآن) : 4/ 3313 ــ 3315.

16. آل عمران: 85.

17. انظر: شرح الكوكب في أصول الفقه :1/ 36 : مقدمة كتاب «رحمة الأمة»: ص6، «الثقافة الإسلامية وطرائق تدريسها(1)» :ص276 ، أصول الفقه ل «عبد الوهاب خلاف».

18. رحمة الأمة : ص10 – 11.

19. المقصود بالاختلاف هنا : الاختلاف الفقهي في المسائل التي كانت تقع وليس الاختلاف السياسي أو الاختلاف المفضى إلى الفتنة والفرقة وتشتيت الشمل وتبعثر الكلمة، حيث هذا الاختلاف مذموم، أما الخلاف الفقهي فلا مفر منه.

20. صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ.

21. الأنفال:60.

22. البقرة: 185.

23. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره في التنازع والاختلاف في الحرب.

24. ليس المقصود من الخلاف هنا الخلاف الفقهي أو الخلاف الذي يخدم الأمة وأهدافها ورسالتها، وإنما الخلاف المفضي إلى النزاع والشقاق والكراهية، قال المفسر العظيم القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرآن: 2/ 1401» في قوله «وَلاَ تَفَرَّقُواْ»: معناه: ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخوانا، فيكون ذلك منعاً لهم عن التقاطع والتدابر، ودل عليه ما بعده، وهو قوله تعالى: «وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع، فإن ذلك ليس اختلافا، إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زال الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متآلفون، وقال رسول الله عليه وسلم: «اختلاف أمتي رحمة ..... وإنما منع الله اختلافاً هو سبب الفساد» أ . هـ.

25.الأنفال: 46.

26.فتح القدير : 2 / 315.

27.آل عمران: 103.

28.الأحزاب: 72.

1. الحج والدين

السؤال: هل يصح الحج ممن عليه دَيْن؟

الجواب: نعم يصح ، لكن لا يجب عليه، لأن قضاء الدين مقدم على الحج، وهو من الحوائج الأصلية سواء أكان ديناً لله كالزكاة أم للعباد، والواجب أولاً قضاء الدين ثم أداء الحج، ومن كان عليه دين مؤجل أو على دفعات، وحان وقت الحج، وله ما يحج به وجب عليه، واستحب بعض العلماء استئذان الدائن قبل الخروج إلى الحج، وقال جمهور العلماء: يجب الاستئذان إن كان الدين حالّاً، وكان المدين موسراً، ولصاحب الدَيْن منعه من الحج حتى يقضي دينه، وليس له منع المعسر.

وإن كان الدين مؤجلاً فللمدين السفر إلى الحج، من غير رضا الدائن، لكن يستحب أن يوكل من يقضي عنه إذا حل الدّين، وعند الشافعية: الدين المؤجل مقدم على الحج، لأن الحج على التراخي(1).

2. الحج والزواج

السؤال: من ملك نفقة الحج وأراد أن يتزوج، فأيهما يقدِّم؟

الإجابة: هذا له حالتان:

الأولى: أن يكون معتدل الشهوة، فإذا ملك المال وقت الحج وجب تقديم الحج، وإنْ ملكه في غير وقت الحج فله صرفه فيما يشاء عند الجمهور، أما الشافعية فيجيزون له صرف المال في الزواج مطلقاً، لكن يبقى الحج في ذمته.

الثانية: إن كان في حالة شبق، ويخشى على نفسه الزنا، وجب الزواج بالاتفاق.

وليس للآباء أن يدعوا الحج بذريعة تزويج الأبناء، فهذا تأجيل غير مبرر شرعاً(2).

3. خروج الزوجة بغير إذن زوجها للحج

السؤال: هل للمرأة أن تخرج إلى الحج من غير إذن زوجها؟

الإجابة: إذا اجتمعت للمرأة شروط وجوب الحج، فإنه يُسن لها أن تستأذن زوجها في حج الفرض، لكن ليس لزوجها منعها من حج الفريضة، والأفضل أن يأذن لها، فإن لم يأذن لها خرجت من غير إذنه عند جمهور العلماء ، لأن الحج فرض عين وعلى الفور، وهو مقدم على حق الزوج، وقال الشافعية : ليس لها الحج إلا بإذنه؛ لأنّ حق الزوج مقدّم، والحج وقته موسع، إلا إن خشيت العجز فلها الخروج من غير إذنه، أما ما ورد أنه ليس للمرأة أن تنطلق إلى الحج إلا بإذن زوجها، فلم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.(3) ولا تخرج الزوجة لحج النافلة إلا بإذنه بالاتفاق، وكذا العمرة(4).

4. شروط الحج وأركانه

السؤال: ما الفرق بين شروط الحج وأركانه؟

الإجابة: الشرط : هو ما يتوقف عليه وجود الشيء شرعاً، دون أن يكون داخلاً في حقيقته، كالطهارة شرط لصحة الصلاة، وهي ليست جزءاً منها.

والركن: هو ما يتوقف عليه وجود الشيء واعتباره شرعاً، وهو داخل في حقيقته، كالسجود ركن في الصلاة وهو جزء منها .

فشروط الحج وأركانه لا بد منها لصحة الحج، وهي مفروضة شرعاً، و لو اختل شيء منها بطل الحج، لكن الشروط لا تدخل في حقيقة الحج بل هي غيره، والأركان جزء منه.

و لهذا فإن الإحرام للحج فرض فيه، وهو ركن عند جمهور العلماء، والحنفية اعتبروه شرطاً لصحته، ولكنه مفروض باتفاق العلماء، إذ لو لم يحصل لم يوجد الحج(5).

5. الاشتراط عند الإحرام

السؤال: ما حكم الاشتراط عند الإحرام؟

الإجابة: معنى الاشتراط أن يقول المحرم عند إحرامه: (إن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني) والمقصود: أنه يجوز التحلل من الإحرام بدون هدي (ذبيحة)، إذا وجد ما يمنع من الوصول إلى الحرم وإتمام الحج أو العمرة (6).

وهو مشروع في كل إحرام عند الشافعية والحنابلة، وقال بعض الحنابلة: يستحب الاشتراط في حال الخوف من الإحصار، وإذا اشترط المحرم ذلك حلّ، سواء أكان الحابس مرضاً أم عدوّاً أو غيرهما، ولا يلزم المحبوس دم ولا صوم، وهذا مذهب الحنابلة، وهو الصحيح، والله أعلم(7)، بدليل ما روته عائشة –رضي الله عنها– قالت : «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ، وَأَنَا شَاكِيَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : حُجِّي، وَاشْتَرِطِي أَنَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي»(8).

وقال الشافعية: الشرط هنا يفيد إباحة التحلل عند المرض، أما بسبب العدو، فلا بد من الهدي ولو اشترط؛ لأنه مُحصَر، تنطبق عليه أحكام الإحصار، ويكون الشرط لاغياً. وذهب الحنفية والمالكية إلى أن الاشتراط في الإحرام غير مشروع، ولا أثر له في إباحة التحلل، ولا بد للمحبوس من ذبح الهدي أو بدله إن لم يجد الهدي، وهو الصيام(9).

والصحيح الذي دلت عليه السنة الصحيحة أن الاشتراط معتبر، وهو مستحب عند خشية الإحصار، كما جاء في حديث ضباعة.

6. طواف الحائض طواف الإفاضة

السؤال: ما حكم طواف الحائض التي يستمر حيضها إلى موعد السفر والعودة إلى بلدها؟

الإجابة: إذا حاضت المرأة قبل طواف الإفاضة، فإنها تبقى على إحرامها حتى تطهر ثم تطوف، فإن طافت وهي حائض فلا يصح طوافها عند الجمهور، وهم المالكية والشافعية والحنابلة.

وذهب الحنفية إلى صحة الطواف بالحيض مع الكراهة التحريمية، فتأثم وعليها بدنة، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم إلى أنه إن تعذَّر عليها الطواف، وهي طاهر شدت حفاظتها جيداً ثم طافت، ولا شيء عليها نظراً لحالة الضرورة. وقد أفتى بقول شيخ الإسلام الأزهر الشريف وعدد من كبار العلماء(10).

ويسقط عن الحائض والنفساء طواف الوداع عند جمهور العلماء.

7. المبيت بمزدلفة

السؤال: ما حكم المبيت بمزدلفة؟

الإجابة: ذهب جمهور العلماء إلى أن المبيت بمزدلفة من ليل العاشر من ذي الحجة واجب، وقال بعض أئمة التابعين كالنخعي والحسن البصري وعلقمة أن المبيت بمزدلفة ركن، وهو قول بعض الشافعية، وقيل سنة، والأقرب إلى الصواب أنه واجب، وقد أوجب الشافعية والحنابلة على الحاج أن يتواجد فيها بعد منتصف الليل ولو ساعة لطيفة أو فترة قصيرة من الزمن، والواجب عند المالكية النزول فيها من أي وقت من الليل قدر حط الرحال –أي أحمال الجمال– والمبيت طوال الليل سنة(11).

عن عبد الله مولى أسماء، قال: «قَالَتْ لِي أَسْمَاءُ، وَهِيَ عِنْدَ دَارِ الْمُزْدَلِفَةِ: هَلْ غَابَ الْقَمَرُ؟ قُلْتُ: لَا، فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: ارْحَلْ بِي، فَارْتَحَلْنَا حَتَّى رَمَتْ الْجَمْرَةَ، ثُمَّ صَلَّتْ فِي مَنْزِلِهَا، فَقُلْتُ لَهَا: أَيْ هَنْتَاهْ لَقَدْ غَلَّسْنَا(12)،

قَالَتْ: كَلَّا، أَيْ بُنَيَّ؛ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَذِنَ لِلظُّعُنِ»(13)

وخالف الحنفية فقالوا: الوقوف بمزدلفة واجب من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والمبيت ليلة العاشر فيها سنة، مستدلين بحديث عروة بن مضِّرس أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ صَلَاتَنَا هَذِهِ، وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نَدْفَعَ، وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ»(14) والصلاة هي صلاة الصبح.

الهوامش:

1. حاشية ابن عابدين 2 /456، والقوانين الفقهية 94، والمجموع 7 /68، وأوضح المسالك 26، والموسوعة الفقهية الكويتية 2 /202.
2. حاشية ابن عابدين 2 /462 ، والمجموع شرح المهذب 7 /71، وحاشية الرملي 1 /446، والكافي ابن قدامة 1 /463.
3. السلسلة الضعيفة برقم 4389، والجامع في أحاديث العبادات برقم 6055 ، 3 /125، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد برقم5307: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات3 /274.
4. الإجماع 51برقم 135، وحاشية ابن عابدين 1 /465، الذخيرة 3 /180، ومغني المحتاج 1 /467، والمغني 3 /170، والإنصاف 3 /283.
5. حاشية ابن عابدين 2 /479، وعلم أصول الفقه، خلاّف 27، والوجيز في أصول الفقه 59، والحج والعمرة/ عتر 41.
6. الجامع لأحكام القرآن 2 /375، ونيل الأوطار 9 /108، ومعجم مصطلحات الحج 37.
7. المغني 3 /200، والإنصاف 4 /53، والموسوعة الفقهية الكويتية2 /214 – 216.
8. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه.
9. الاختيار 2 /190، والجامع لأحكام القرآن 2 /375، والاستذكار 4 /410، والحاوي 4 /358.
10. المحيط 3 /11، 13 ، وبداية المجتهد 1 /343، ومجموع الفتاوى 26 /127، والموسوعة الفقهية الكويتية 18 /320، وفتاوى الأزهر – (ج 1 / ص 205) ومفاجأة الحيض للمرأة أثناء الحج و (ج 1 / ص 219) نزول الدم على المرأة أثناء طواف الإفاضة ولقاءات الباب المفتوح.
11. الهداية 1 /146، والتاج والإكليل 3 /475، ومغني المحتاج 1 /499، والمغني 3 /299، والوجيز 252، والموسوعة الفقهية الميسرة 4 /391.
12. غلَّسنا : أي تقدمنا على الوقت المشروع، والظُّعُن جمع ظعينة وهي المرأة.
13. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل فيقفون بالمزدلفة ويدعون.
14. سنن الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج.

مواسم العمر من الولادة حتى زمان البلوغ

الشيخ الدكتور/ إسماعيل نواهضة- خطيب المسجد الأقصى المبارك

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(1)

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في هذا الكون وأعطاه العمر في هذه الحياة ليبتليه ويختبره، أيحسن أم يسئ؟ أيستغل عمره في فعل الخيرات، أم يضيعه في فعل الشرور والآثام. فالعاقل هو الذي يحسن فعل الخير.

قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}(2).

وقال أيضاً:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(3).

فقد ربط الله تعالى تحقيق الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة بفعل الخيرات على اختلاف أنواعها وأصنافها.

وقال الشيخ الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، جمال الدين أبو الفرج الخزرجي – رحمه الله تعالى – : الحمد لله الذي جعل الأعمار مواسم، يربح فيها ممتثل المراسم، ويخسر المضيع الحسير والحاسم. فهي موضوعة لبلوغ الأمل، ورفع الخلل. زائدة الأرباح لمن اتجر، مهلكة

الأرواح لمن فجر، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر، والسيئة ترد المستقيم إلى حال.

وبهذا العمر اليسير يشتري الخلود الدائم في الجنان، والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء الرحمن، ومن فرط في العمر وقع في الخسران.

فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر لنفسه في أمره، فيغتنم ما يفوت استدراكه، فربما بتضييعه هلاكه.

ويقول أيضاً: إن مواسم العمر خمسة: الموسم الأول: من وقت الولادة إلى زمان البلوغ، وذلك، خمس عشرة سنة.

والثاني: من زمان بلوغه إلى نهاية شبابه، وذلك إلى تمام خمس وثلاثين سنة، (وهو زمن الشباب).

والثالث: من ذلك الزمان إلى تمام خمسين سنة، وذلك زمان الكهولة. وقد يقال: (كهلِ) لما قبل ذلك.

الرابع: من بعد الخمسين إلى تمام السبعين، وذلك زمان الشيخوخة.

والخامس: ما بعد السبعين إلى آخر العمر، فهو زمن الهرم.

وقد يتقدم ما ذكرنا من السنين ويتأخر، فلنرسمها خمسة أبواب.

وسأتناول في هذا المقال الموسم الأول من وقت الولادة إلى زمان البلوغ، وذلك خمس عشرة سنة.

إن هذا الموسم يتعلق معظمه بالوالدين، فهما يربيان ولدهما ويعلمانه، ويحملانه على مصالحه، ولا ينبغي أن يفترا عن تأديبه وتعليمه؛ فإن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر.

قال علي – رضي الله عنه – في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}(4)، أي علموهم وأدبوهم.

فيعلمانه الطهارة، والصلاة ويضربانه على تركها إذا بلغ تسع سنين، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»(5) ويحفظانه القرآن، ويسمعانه الحديث، وما احتمل من العلم أمراه به، ويقبحان عنده ما يقبح، ويحثانه على مكارم الأخلاق، ولا يفتران عن تعليمه على قدر ما يحتمل؛ فإنه موسم الزرع.

قال الشاعر:

لا تَسهُ عَن أَدَبِ الصَغي ... رِوَإِن شَكى أَلَمَ التَعَب

وَدَعِ الكَبيرَ لِشانِه ... كَبُرَ الكَبيرُ عَنِ الأَدَب

وقال غيره:

إِنَّ الغُصونَ إِذا قَوَّمتَها اِعتَدَلَت ... وَلا يَلينُ قَوَمتَهُ الخَشَبُ

قَد يَنفَعُ الأَدَبُ الصَغيرَ في مَهلٍ ... وَلَيسَ يَنفَعُ في ذى الشَيبَةِ الأَدَب

كان (عبد الملك بن مروان) يحب ابنه (الوليد)، ولا يأمره بالأدب، فخرج لحاناً، فقال: أضر حبنا بالوليد.

وقد يرزق الصبي ذهناً من صغره، فيتخير لنفسه؛ كما قال الله تعالى:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ}(6). فذكر في التفسير: أنه كان ابن ثلاث سنين، فقال للكوكب والقمر والشمس ما قال، إلى أن قال: (وَجَهتُ وَجهي لِلَّذي فَطَرَ السَمَواتِ وَالأَرضَ).

فإذا عبر الصبي خمس سنين بات فهمه ونشاطه في الخير، وحسن اختياره، وصدفت نفسه عن الدنايا وعكس ذلك.

مر (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - على صبيان يلعبون، فنفروا من هيبته، ولم يبرح (ابن الزبير) - رضي الله عنه - فقال له: مالك لم تبرح؟! فقال: ما الطريق ضيقة فأوسعها لك، ولا لي ذنب فأخافه.

وقال الخليفة لولد وزيره وهو في دارهم: أيما أحسن دارنا أو داركم؟ فقال: دارنا. قال:

لم؟ قال: لأنك فيها.

ويتبين فهم الصبي وعلو همته وتقصيرها باختياراته لنفسه؛ وقد يجتمع الصبيان للعب، فيقول عالي الهمة: من يكون معي، ويقول قاصرها: مع من أكون. ومن علت همته آثر العلم.

فإذا راهق الصبي، فينبغي لأبيه أن يزوجه، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد وابن عباس قالا: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من ولد له ولد فليحسن اسمه و أدبه، فإذا بلغ فليزوجه، فإن بلغ و لم يزوجه فأصاب إثماً، فإنما إثمه على أبيه» (7).

وعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَخَلَوَا، فَقَالَ عُثْمَانُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نُزَوِّجَكَ بِكْرًا، تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا، أَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةُ؛ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ؛ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».(8)

والعجب من الوالد كيف لا يذكر حاله عند المراهقة، وما لقي وما عانى بعد البلوغ، أو كان قد وقع في زلة، فيعلم أن ولده مثله.

قال: (إبراهيم الحربي): أصل فساد الصبيان بعضهم من بعض.

وقليل من يؤثر العلم على النكاح، ويعلم نفسه الصبر؛ فإن (أحمد بن حنبل) – رحمه الله – لم يتزوج إلا بعد الأربعين.(9)

وفي الختام أقول: إن الشرائع والأعراف والأخلاق المتفق عليها بين الجميع تؤكد على أن الأبناء –ذكوراً كانوا أم إناثاً– هم أمانات لدى الأبوين ينبغي الحفاظ عليهم وصيانتهم ما أمكن ذلك من الزلل والانحراف والفساد، ويجب أن يرادف هذا التوجه اهتمام ومراعاة ومراقبة للطاقات التي يتوافر عليها الأبناء.

فقد حبا الله تعالى الإنسان منذ ولادته بمواهب فطرية تنشأ مع نشأته، فهي كالبذرة

التي تُزرع في تربة الأرض، كما تُزرع في الجسد والعقل البشري، وكما أن البذرة النباتية تحتاج إلى متابعة ومراقبة ومراعاة، تحتاج بذرة الموهبة لدى الإنسان لاسيما الأطفال، إلى ملاحظة مستديمة ومراعاة قائمة ومستمرة، من أجل تعضيدها وإسنادها ومساعدتها بالوقوف على قدميها.

وهذه بطبيعة الحال مهمة المحيط العائلي متمثلاً بالأب والأم، ومن سبق الوليد من الأخوة والأخوات، كما أنها مسؤولية المجتمع، أي الجهات التربوية المعروفة من المجتمع، حيث تأخذ على عاتقها المساعدة والتوجيه والمتابعة من أجل تطوير المواهب الجديدة والحفاظ عليها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الهوامش:

1. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.
2. الملك:2.
3. الحج:77.
4. التحريم:6.
5. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص.
6. الأنبياء:51.
7. البيهقي في شعب الإيمان. 6 /401.
8. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي من استطاع منكم الباءة فليتزوج.
9. أنظر كتاب : تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي. بتصرف.

عرض كتاب

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

الأستاذ / يوسف عدوي ـ جامعة بيت لحم

الحمد لله خالق الألسن واللغات، واضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته حكمه البالغات، الذي علم آدم الأسماء كلها، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لساناً، وأعربهم بياناً، وعلى آله وصحبه، وبعد؛

التمهيد: فما أحوجنا في هذه الأيام إلى قراءة الكتب التي تعمق في نفوسنا الإقبال على الله، وتدعونا إلى توظيف طاقاتنا وقدراتنا لخدمة أهداف ديننا الحنيف، والتي تدعو لإعادة مجد الإسلام، وتضع أيدينا على دواء ما نشكو منه من أمراض، والتي تغرس فينا الفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل، والكتاب الذي نحن بصدد عرضه الآن يساعد في تحقيق ذلك -إن شاء الله-.

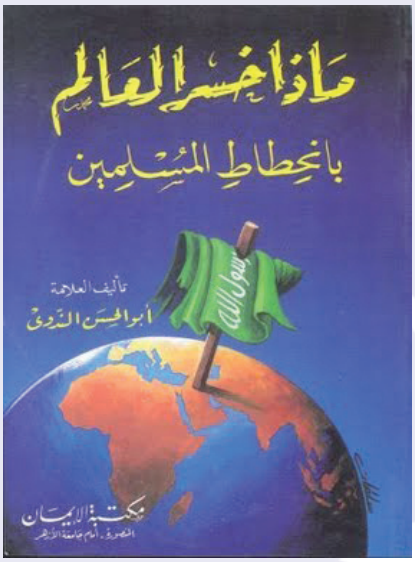

اسم الكتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

المؤلف: أبو الحسن الندويّ، المولود في الهند، سنة 1332هـ، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي

طالب كرّم الله وجهه.

الكتاب شكلاً: يقع الكتاب في أربعمائة واثنتين وثلاثين صفحة (432) من القطع الصغير، صادر عن دار الجليل ببيروت، وقسمه المؤلف إلى خمسة أبواب، وكل باب يحتوي على فصول عدة، وكل فصل يشمل مجموعة من العناوين الرئيسة، والأبواب الخمسة، هي:

1. العصر الجاهلي.
2. من الجاهلية إلى الإسلام.
3. العصر الإسلامي.
4. العصر الأوروبي.
5. قيادة الإسلام للعالم.

مضمون الكتاب:

الباب الأول: العصر الجاهلي

في الباب الأول رسم المؤلف صورة صغيرة سريعة واضحة للعالم قبل أن تشرق عليه أنوار الإسلام، وتحدث باختصار عن الديانات السماوية المسيحية واليهودية، وما جرى عليها من تحريفات، وتطرق إلى الديانات الوثنية كالهندوسية والبوذية والزرادشتية، أما العرب فتفردوا بأخلاق ومواهب: كالفصاحة، وقوة البيان، والفروسية، والوفاء، وقيم أخرى، ولكنهم ابتلوا في العصر الأخير بانحطاط ديني ووثنية سخيفة، وبالتالي فسد المجتمع.

وإجمالاً تميزت الفترة قبل الإسلام -كما يرى الكاتب- بشكل عام، بما يأتي:

1. الاستهانة بدم الإنسان والحط من قيمته.
2. الفساد والانحلال.
3. كثرة المعبودات والآلهة.
4. التفاوت الطبقي المجحف.
5. الخرافات والإحالة بين الإنسان والفكر والعلم.

6. السياسة ملكية مطلقة.
7. السيطرة كانت لطبقة صغيرة تستغل الناس وتمتص دماءهم.
8. كثرة الضرائب عند الرومان والفرس.
9. الترف والبذخ والمدنية المصطنعة . (أبرويز كسرى، فارسي، كان عنده 12 ألف امرأة، و50 ألف جواد).

وخلاصة القول في الباب الأول: لم تكن في ذلك الوقت ما قبل الإسلام على ظهر الأرض أمة صالحة، ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة، ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء، فيرى الكاتب أنها مجتمعات قامت على الاضطهادات والاستبداد والمدنية المصطنعة.

الباب الثاني: من الجاهلية إلى الإسلام

تناول المؤلف في هذا الباب المسائل الآتية:

1. دفاع الجاهلية عن تراثها ومقاومتها للإسلام، وذلك باستخدامها كل الوسائل والأساليب، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم صمد وثبت في وجه المكائد والأذى والعنف والإغراءات.

2. تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه التربية الدينية، وتقوم هذه التربية على :

أ- سمو الروح ب- نقاء القلب جـ- نظافة الخلق د- التحرر من سلطان الماديات هـ- مقاومة الشهوات و- الخضوع إلى رب العالمين.

3. أثر تربية الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه والمسلمين، حيث إن الانقلاب الذي أحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين أغرب ما في تاريخ البشرية، في عمقه، وسرعته، ووضوحه، وقربه إلى الفهم، وكيف أنه جعل المسلمين يثبتون أمام المطامع والشهوات، وجعل لديهم اعتزازاً وثقة بالنفس،

والاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء، والشجاعة النادرة، وانتقلوا من الأنانية إلى العبودية لله تعالى، واقتلع الرسول صلى الله عليه وسلم جذور الجاهلية وجراثيمها، فقال صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»(1).

4. الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي: عبادة الله، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأمر المسلمين شورى بينهم.

وبهذا استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بمنهجيته النبوية في الإصلاح والتغيير أن يحول خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية، فرأى العالم منهم النوابغ والعباقرة، وكانوا من عجائب الدهر، أمثال: «أبو بكر، وعمر، وعلي، وخالد، وبلال، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن عباس» وتشكل منهم كتلة بشرية متزنة فيها الكفاية التامة في كل ناحية من نواحي الإنسانية ، كتلة هي في غنى عن العالم، وليس العالم في غنى عنها، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن رجلاً إقليمياً أو زعيماً وطنياً، ولم يبعث لينسخ باطلاً بباطل.

الباب الثالث: العصر الإسلامي

تحدث في هذا الباب عن العصر الإسلامي بشكل عام، وتناول فيه القضايا الآتية:

1. خصائص الأئمة المسلمين (صفات المسلمين التي أهلتهم لقيادة الإنسانية وزعامتها):

أ- أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية، قال تعالى:{أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(2).

ب- أنهم لم يتولوا الحكم والقيادة بغير تربية خلقية وتزكية نفس، قال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}(3).

جـ- قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . قال ربعي بن عامر في مجلس يزدجر: «الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

د- كانوا جامعين بين الديانة والأخلاق والقوة السياسية، وتعاملوا مع الإنسان على أساس أنه جسم وروح وقلب وعقل وعواطف وجوارح، ولا يسعد، ولا يفلح، حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نمواً متناسباً لائقاً.

2. شروط الزعامة الإسلامية:

أ- الجهاد: وهو بذل الوسع وغاية الجهد لنيل أكبر مطلوب للمسلم؛ طاعة الله والخضوع لحكمه، وذلك يحتاج إلى عمل طويل شاق، وجهاد ضد كل ما يزاحم ذلك، والجهاد تنفيذ للشريعة، وإعلاء لكلمة الله، وتطبيق لأحكامه، وهو مستمر إلى يوم القيامة.

ب- الاجتهاد: ويقوم الاجتهاد على أن يكون من يرأس المسلمين قادراً على القضاء الصحيح في النوازل والحوادث التي تمر في حياة المسلمين، وفي العالم والأمم التي يحكمها، وفي المسائل التي تتجدد، ولكن من الأسف؛ صار يتولى هذا المنصب الخطير رجال لم يكونوا له أكفاء، ولم يتلقوا تربيةً دينيةً وخلقيةً كما تربى الأولون، فظهرت التحريفات في الحياة الإسلامية التي شكلت فتحات في المجتمع الإسلامي، لم تسد إلى الآن، أدت إلى انحطاط المسلمين، وأهم هذه التحريفات:

1. فصل الدين عن الدولة، وبالتالي تحررت السياسة من رقابة الدين.

2. ظهور النزعات الجاهلية في رجال الحكومة، والمحسوبيات والرشاوى، والعودة إلى الملذات والترف.

3. سوء تمثيل القائمين على الإسلام للإسلام، وبالتالي فقدت رسالة الإسلام تأثيرها وقوتها في قلوب غير المسلمين، وضعفت ثقتهم به.

4. قله الاهتمام بالعلوم العملية المفيدة، وتوجههم نحو المسائل الروحية والفلسفية، واهتمامهم بعلوم ما بعد الطبيعة، ومسائل وحدة الوجود.

5. ظهور الضلالات والبدع، وشغلت مكاناً واسعاً من حياة المسلمين.

رغم ذلك كله ظل الدين حياً محفوظاً من التحريف والتبديل، ولم يزل الكتاب والسنة

يبعثان في نفوس المسلمين ثورة على الشرك والبدع.

أبلى المسلمون بلاءً حسناً في القرن السادس الهجري في مواجهتهم لأكبر خطر على الإسلام والمسلمين (الحروب الصليبية)، ودور صلاح الدين في توحيد المسلمين، وهزم الصليبيين، وكنسهم من بلاد الإسلام، وعانى المسلمون بعده الشيء الكثير.

أشار المؤلف إلى ظهور العثمانيين على مسرح التاريخ ودورهم، وتفوق محمد الفاتح في فن الحرب، ومن مزايا الشعب التركي كما يقول:

أ- أنه كان شعباً متحمساً وطموحاً، فيه روح الجهاد.

ب- لديه القوة الحربية.

جـ- كان في أحسن مركز للقيادة العالمية بحيث يشرف منها على آسيا وأوروبا.

ثم تفشى الانحطاط في الأخلاق، والجمود في العلم، وصناعة الحرب، فلم يعنى باكتساب العلوم الحديثة، وكان القرن التاسع آخر قرون النشاط والتوليد والابتكار في الدين والعلم والأدب والحكمة، والقرن العاشر أول قرون الجمود والتقليد والمحاكاة.

وأشار إلى نهوض أوروبا في القرنين «16 ، 17» الميلاديين وبروز المبتكرين والعباقرة مثل؛ كوبر نيكس، ونيوتن، وغليلو، وبرونو، وكبلر. وضيع المسلمون أحقاباً وأجيالاً انتهزت فيه أوروبا كل دقيقة وثانية، وقطعت في أعوام مسافة قرون، فتخلف المسلمون في مرافق الحياة.

الباب الرابع: العصر الأوروبي

تحدث في هذا الباب عن العصر الأوروبي بماديته، وأنه وريث الحضارة اليونانية والرومانية، وتناول الجنسية الوطنية في أوروبا، وانتقال عدواها إلى الأقطار العربية والإسلامية، وأبرز ما يميز هذا العصر:

1. الإيمان بالمحسوس، وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس.
2. قلة الدين والخشوع.
3. شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بلذائذها.

4. النزعة الوطنية وروح الاستعمار.

5. الانحطاط الخلقي.

6. طغيان المادية، بحيث أنها طغت على كل شيء، واستغرقوا فيها، مثال ما جاء به كارل ماركس(1818 – 1883) مؤسس الفلسفة الشيوعية، إذ إنه يرى أن النظام الاقتصادي هو روح الاجتماع، وأن الدين والحضارة وفلسفة الحياة والفنون الجميلة كلها انعكاس لهذا النظام الاقتصادي.

اضطهاد الكنيسة في العصور الوسطى للعلم:

أنشأت الكنيسة في العصور الوسطى محاكم التفتيش التي تعاقب الملحدين والزنادقة (العلماء)، ويقدر عدد المعاقبين (300.000)، أحرق منهم أحياء (32.000)، منهم العالم الطبيعي برونو، والعالم الفلكي غليلو، لأنه كان يعتقد أن الأرض تدور حول الشمس، وبعد ذلك كانت حركة التجديد والتنوير، ووصلت أوروبا والغرب إلى ما هم عليه من تقدم علمي هائل.

• وكان انكسار الكنيسة اللاتينية سبباً في ظهور القوميات، ونتيجتها الوقوف ضد كل ما جاء من الخارج، وصارت بعض الشعوب الأوروبية تنظر إلى الدين المسيحي والمسيح كطارئ ونزيل، ويريدون أن ينفوه من بلادهم، فيقول البروفسور الألماني أترني: «لأي شيء يدرس أولادنا تاريخ أمة أجنبية، ولماذا يقص عليهم قصص إبراهيم وإسحق؟ ينبغي أن يكون إلهنا أيضاً ألمانياً»، وسرت هذه العدوى إلى بعض الأقطار الإسلامية وأمثلتها:

–النزعة الطورانية في تركيا، فاعتقد بعض المفكرين في تركيا الفتاة أن الإسلام دين طارئ، وغريب لا يصلح لتركيا.

ـ بروز أصوات في إيران تبحث عن أديانهم القديمة.

الحل الإسلامي لمعضلة الحرب والمناقشات الشعوبية:

الحل بسيط يقوم على هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}(4) فالإسلام قسم العالم البشري إلى قسمين فقط: أولياء الله، وأولياء الشيطان. ولم يشرع حرباً ولا جهاداً إلا ضد أنصار الباطل.

موقف الإسلام من الصناعات والمخترعات:

الاختراعات وسائل لإسعاد البشرية، وللتغلب على صعوبات الحياة، ويجب استخدامها في مقاصدها الصحيحة بعيداً عن الفساد، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً}(5)، وقال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}(6).

مصائب المسلمين في عهد الاستعمار الأوروبي:

1. بطلان الحاسة الدينية، وبالتالي إنكار الغيب، والمكابرة فيما هو وراء الطبيعة، والمعاندة في المعاني الدينية.

2. زوال العاطفة الدينية، نتيجة طغيان المادية، فالآباء يعلمون أبناءهم العلوم المعاشية، بعيداً عن حب الدين.

3. التدهور في الأخلاق والمجتمع، أصبحت التربية غير إسلامية، وظهر ذلك في اللباس، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وغيرها.

4. بروز الفردية، والابتعاد عن المصالح العامة، فأصبح التوجه المادي، والاهتمام بالحياة الدنيا على حساب الآخرة، والابتعاد عن روح الدين وأهدافه.

- وتناول المؤلف الحديث عن القوة التي تنمو على حساب الأخلاق والإنسانية في أوروبا والغرب، وما اختراعاتهم من قنابل نووية وهيدروجينية ونيتروجينية إلا وسائل تسرع في هلاكهم وانتحارهم، وأشار إلى ما أحدثته القنابل النووية التي ألقيت على مدينتي ناكازاكي وهيروشيما في اليابان، وقتل مئات الآلاف من الناس وتشويههم.

- وخلص المؤلف في نهاية هذا الباب إلى أن الذهن الغربي والمنطق العصري أصبحا عاجزين عن الاهتداء إلى منفعة غير محسوسة لا تجلب لذة واغتباطاً، وأصبح العقل

الأوروبي محامياً عن المادية، لا يحكم على الأخلاق بالحسن والصحة إلا بمقدار جلبها للمنافع المادية.

الباب الخامس: قيادة الإسلام للعالم

– يقول المؤلف: إن العالم يعيش في أزمة روحية وخلقية واجتماعية واقتصادية، ويتساءل: ما الحل؟

– يجيب: الحل يكمن في تحويل القيادة من أوروبا بالمعنى الواسع إلى العالم الإسلامي، وذلك بالعمل بالشريعة الإسلامية، والقيام بالمهمة الشريفة المكلفة بها الأمة الإسلامية.

كيف ينهض العالم الإسلامي وينقذ البشرية؟

يعقد الكاتب آمالاً كبيرةً على العرب، واستخلصت النقاط السبع الآتية في الإجابة عن هذا السؤال:

1. الاستعداد الروحي؛ بغرس الإسلام في قلوب المسلمين، وإشعال العاطفة الدينية، والعمل على منهاج الدعوة الإسلامية الأولى، فالقرآن والسنة قوتان عظيمتان؛ تستطيعان أن تشعلا في المسلمين نار الحماسة، وتحدثا ثورة على العصر الجاهلي الغربي.
2. الاستعداد الصناعي والحربي، قال تعالى: { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ }(7).
3. التوجه نحو العلم والتحقيق، والتنظيم العلمي الجديد.
4. العناية بالحياة العسكرية؛ فعلى رجال التربية والتعليم وقادة الشعوب العربية أن يربوا الشبيبة العربية على الفروسية، والحياة العسكرية، وخشونة العيش، والصبر، وتحمل المشاق.
5. محاربة التبذير، والفرق الهائل بين الغني والفقير.
6. التخلص من الأثرة وأنواعها، وما يترتب عنها (الفردية، والعشائرية، والحزبية، والطبقية).
7. إيجاد الوعي في الأمة، واستقلال البلاد العربية في تجارتها وماليتها، ويقول: البلاد

العربية والإسلامية عديمة الوعي، تعامل العدو معاملة الصديق.

ويخلص إلى القول: إن الوطن العربي مهم جداً في خريطة العالم السياسية، والعرب بدون الإسلام كجسد بلا روح، فالإيمان قوة العرب وسر النصر في المستقبل.

الخاتمة:

هذا عرض على عجالة لكتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، وتبين لنا أن العالم خسر الكثير من ضعف المسلمين، وغياب الإسلام عن الساحة الدولية، فالإسلام دين محبة ورحمة وتسامح وعلم، ويحفظ للإنسانية كرامتها وحريتها، بعيداً عن القتل والظلم والدمار والفساد، ولا بد من عودة الإسلام ليتسيد العالم، ليعم الأمن والطمأنينة والعدل في كل مكان، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تضحياتنا كما ضحى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمسلمون الأوائل بكل شيء، وتركهم الدنيا، وإقبالهم على ما يسعدهم في الآخرة، قال تعال: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ}(8).

وما اهتمام العالم بترجمة هذا الكتاب بالإنجليزية باسم «Islam and the world» ولغات أخرى، إلا دليل على أهميته ورؤيته في حل كثير من مشكلات العالم بعدل الإسلام وتسامحه، ومنهجيته الشاملة في جميع أمور الحياة وأبعادها، فجزى الله أبا الحسن الندوي مؤلف الكتاب عنا وعن كل المسلمين والعالم خير الجزاء.

الهوامش:

1. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في العصبية.
2. الأنعام : 122.
3. القصص:83.
4. النساء : 76.
5. البقرة : 29.
6. الإسراء : 70.
7. الأنفال: 60.
8. العنكبوت: 4.

وصية لكل إمرأة

الشيخ/ محمد سعيد صلاح
مدير عام البحوث والتخطيط / دار الإفتاء الفلسطينية

الحمد لله الذي أحل النكاح، وحرم السفاح، وصدق الله العظيم القائل:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(1)، وصدق رسولنا الأمين محمد بن عبد الله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ القائل : «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ؛ لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» (2)، وبعد؛

فالمرأة هي عماد الحياة الزوجية والأسرية، إن صلحت صلح الأولاد بصلاحها، وإن فسدت فسد الأولاد والمجتمع بفسادها، قال الشاعر حافظ إبراهيم رحمه الله:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

ولما كانت الأم مهد المحبة، والحنان، والعطف، والأمان، وأساس الأسرة منذ قديم الزمان، نجد أن لها الدور الأهم والأميز في وصية ابنتها وتوجيهها نحو الأصلح والأفضل والأسلم في رعاية الزوج والبيت والأسرة، ونضع هنا هذه الوصية، والتي هي خلاصة تجارب أُم عربية، أُمامة بنت الحارث بالحياة الزوجية وبطبيعة الرجال، التي أهدتها لابنتها أم إياس ليلة زفافها إلى الحارث بن عمرو/ ملك كندة، وقد عظم موقعها، وولدت لزوجها، ملوكاً حكموا اليمن.

فقدمت الأم نصيحتها الأولى لفلذة كبدها التي ستغادرها إلى بيت آخر قائلة: «أي بنية؛ إن الوصية لو تُرِكَت لِفَضْلِ أَدَب، تُرِكَتْ لِذَلِكَ مِنْكِ، ولكنها تَذْكِرَةٌ للغافل، ومعونَةٌ للعاقل، ولو أن امرأة اسْتَغْنَتْ عن الزوج لِغِنَى أبَوَيْهَا، وَشِدَةِ حاجتهما إليها، كُنْتِ أَغْنَى النَاسِ عَنْه، ولكن النِّساء للرِّجال خُلِقْن، وَلَهُنَّ خُلِقَ الرجال».

ولا بد أن أشير إلى رفعة خلق البُنَيَّةِ وكمال أدبها، وأصالة البيت الذي تربت فيه على مكارم الأخلاق، ومكانتها في بيت والديها.

توجهت الأم إلى ابنتها تذكرها بأن الرجال إنما خلقوا للنساء، فهذه هي الفطرة، وطبيعة الخلق، وإرادة الله عز وجل، وكذلك النساء خلقن للرجال، ولا يستغني أيٌّ منهم عن الآخر، وأرادت الأم أن تثبت حقيقة سمو تربية هذه الفتاة، وتُوَجِّهُها وترشدها وتؤكد لها مدى قدرها عند أبويها، وهم الأسرة الغنية، ولكن هذه هي مشيئة الله تعالى.

ومع هذا الكلام الطيب الذي ينبئ عن فهم عميق، وإدراك حقيقي لمعنى الحياة الزوجية، قدمت الأم نصيحتها الثانية قائلة: «أي بنية؛ إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة، يكن لك عبداً وشيكاً».

هذه الوصية هي مفتاح سر السعادة الزوجية وديمومتها، عندما تعرف الفتاة أنها مهما طال بها المقام عند والديها، فلا بد لها من الرحيل إلى قرين لم تعهده، ولم تعرفه، ليُنَظِّما حياتهما معاً على أساس التكامل بين الزوجين، لا التفاضل بينهما، فإن أشعرته أنها أعلى منه قدراً، أو أعَزّ منه جاهاً، فسوف يمقتها ويقلل من شأنها، بل ربما يحتقرها ويزدريها، ويحاول أن يذلها ويحط من كرامتها، لأن التعالي دمار، والتواضع رفعة شأن ومقدار، أما إذا تقربت إليه واستحوذت على أصغريه(قلبه ولسانه)، وكانت له أمة

(خادمة مطيعة) بسلوكها وتعاملها، فسيكون لها عبداً بتعامله وخصاله، بحبه وإخلاصه ووفائه، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، والخير بالخير والبادئ أكرم، والشر بالشر والبادئ أظلم.

ولكن الأم العربية البدوية صاحبة الفطرة السليمة السوية تأبى إلا أن تؤكد على جوانب الحياة المختلفة لفلذة كبدها، وعصارة حياتها، ومهجة قلبها قائلة: «يا بنية: احملي عني عشر خصال، تكن لك ذخراً وذكراً».

الخصلة الأولى: الصحبة بالقناعة؛ القناعة كنز لا يبلى، وذخر لا يفنى، وزاد عنه لا يستغنى، فإذا ما رضيت المرأة بحال زوجها، وكذا الناس، كانت من أسعد الناس، وإن تضجرت وملت حياتها أصبحت نكدة في تصرفها، سيئة بتعاملها، ضيقة بخلقها، مسيئة لأهلها وزوجها وذريتها، وصدق رسولنا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم القائل: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ: ..... وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ، تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ».(3).

الخصلة الثانية: المعاشرة بحسن السمع والطاعة؛ والمعاشرة الزوجية مبنية على التوافق والمشاركة والحسنى بين الزوجين، وأجمل وأكمل ما في تمام العشرة السمع والطاعة، وصدق رسولنا ﷺ القائل: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(4) فسمع الزوج وطاعته في غير معصية تؤجر عليه المرأة، وترتفع مكانتها في قلبه وعند ربه، لأن الإنسان لا يحب من يعانده ويخالفه، فالنفوس على هذا جبلت، وبمثله تربت، وله ألفت، ومن غيره ضجرت.

الخصلة الثالثة: والتعهد لموقع عينه، والتـفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح؛ إن النظر مفتاح المحبة والمودة، بل إنَّ الأداة الأولى لتذوق الجمال هي العين، فعين الرجل إذا لم تر من الزوجة إلا الجمال والزينة والكمال ملكت قلبه، وأسرت فكره، وتربعت في سويداء فؤاده، فالأصل بالمرأة أن تتزين لزوجها، لكي لا يرى سوى جمالها وكمالها وبهائها ونضارتها، لتأسره بحبها فلا يرى إلا ما يحب، بخلاف ما تفعله بعض جاهلات الحياة في زماننا، فيتزين خارج البيت، ويهملن أنفسهن داخل البيت أمام أزواجهن، فلا يجد الزوج إلا رائحة البصل والثوم، وثياب المطبخ، وقد ينحرف لإهمال زوجته له، وكذا المرأة مع زوجها.

وأشير هنا إلى أنه يجب على الرجل أن يتزين ويتطيب لزوجته، وأن لا يواقعها كبهيم غشي بهيمة، بل يجعل مع زينته رسول محبة لزوجته ومداعبة وملاطفة، تقرباً منها، وطلباً لودها، وإسعاداً لبعضهما، فالزوجة تحب من زوجها ما يحب منها، فافهم.

والمرأة العربية كانت قد فهمت معنى النظافة ودورها في حياة النفوس، لأن القذارة تربك النفس، وتبعث الألم في الصدر، وتأتي بالأمراض الفتاكة، أما النظافة؛ فتثير البهجة، وتبعث الفرحة والسعادة في النفوس، وتحمي المجتمع من الأمراض، ونجد أن الإسلام حافظ على النظافة، وطالب الناس بها، فعن النبي ﷺ أنه قال: « ... نظفوا أفنيتكم».(5).

الخصلة الرابعة: الكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود؛ والمرأة مطالبة بالتجمل كي لا يرى زوجها من هو أجمل منها في حياته، فهي نصفه الآخر الجميل، وانعكاس مرآة جماله، فكل منهما اختار الآخر، فتغنى به، والعرب تغنوا قديما بالعيون، قال الفرزدق:

إن العيون التي في طرفـــــها حور قـــتلننـا ثـم لـــم يحيـيـن قتلانـا

يسرقن ذا اللب حتى لا حراك بـه وهـــــن أضعـف خلـق اللّه إنسانـا

والإسلام حث الزوجين على التجمل والتطيب في غير معصية.

فإذا لم تجد المرأة ما تتطيب به لزوجها وتتزين، فلتغتسل لتزول عنها رائحة الأذى والقذى، والتعب والعمل، وصدق الله العظيم القائل:{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}(6)، وإن الإسلام أمر المسلم بأن يغتسل، وأن يبقى صاحب رائحة طيبة، بل يتطيب في كل حين، وإذا كان الإسلام قد طالبنا بأخذ زينتنا عند كل مسجد، قال تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}(7)، والمسلم المكلف مطالب بالصلوات الخمس في المسجد، أي انه يتطيب ويتزين لزوجته بتطيبه لصلواته خمس مرات في اليوم والليلة أيضاً.

الخصلة الخامسة: التعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

إن أقرب طريق إلى قلب الرجل معدته، والجوع يؤدي إلى تهيج نفسي عند المرء، ففهمت المرأة العربية البدوية أقرب طريق إلى قلب الرجل ألا وهي معدته، والإسلام أوصى القاضي أن لا يقضي وهو غضبان، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَقْضِي الْحَكَمُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ»(8) قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي شرح هذا الحديث: الْغَضَب يُغَيِّر الْعَقْل، وَيُحِيل الطِّبَاع عَنْ الِاعْتِدَال، وَلِذَلِكَ أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَام الْحَاكِم بِالتَّوَقُّفِ فِي الْحُكْم مَا دَامَ بِهِ الْغَضَبُ، فَقِيَاسُ مَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ مِنْ جُوع مُفْرِط، وَفَزَع مُدْهِش، أَوْ مَرَض مُوجِع، قِيَاس الْغَضَب فِي الْمَنْع مِنْ الْحُكْم، لذلك قاس عليها الفقهاء الجوعان، لأن الجوع يقتل النفس، ويغير الحال، ويثير الأحاسيس.

الخصلة السادسة: الاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير.

فهذه وصية متفقة مع هدي الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، القائل: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ».(9).

ورعاية البيت والخدم والعيال أوصى بها الحبيب ﷺ قائلاً: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».(10).

فانظر هداك الله كيف أوصت المرأة ابنتها بأمانة البيت والمال، والحشم والخدم، ودور هذه الرعاية في استمالة قلب الزوج، وديمومة حبل المودة والوصال، لأنه من لا يشكر الناس، لا يشكر الله تعالى، فكم من امرأة بحسن تدبيرها رفعت قدر بيتها.

الخصلة السابعة: لا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره، أوغرت صدره.

قال الحكماء المجالس أمانة وأسرار، وعلمنا النبي العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام أنه: «....إِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»(11)، فالمرأة بيدها أكبر الأمانات من تربية وتوجيه، ألا وهي حفظ النسل والنسب، فمن الذي يثبت نسب الأولاد والبنات؟ إنها الأم صائنة العرض، وحافظة النسل.

فالمرأة التي تصون بيت زوجها، وتحفظ ماله وسره، تأسر قلبه، وإن أفشت أسرار البيت، وعصت زوجها، أشعلت نار الفتنة التي لن تنطفئ، وكذا الزوج.

الخصلة الثامنة: اتقي الفرح عنوه إن كان ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

توصي المرأة ابنتها بكمال وتمام التزاوج الروحي بين الزوجين، فكل منهما يسعد بسعادة الآخر، ويشاطرا بعضهما بعضاً الأحزان، بل إن سيدنا محمداً ﷺ هو الذي علمنا أنه لكل مقام مقال ، ولا يجوز لنا أن نتحدث في أفراح الناس عن الأتراح، ولا نتحدث عن الأتراح في الأفراح، ولا نتحدث عند المريض عن الموت، بل عن السلامة والعافية والتذكير.

الخصلة التاسعة: وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة.

الإنسان أسير الإحسان، فكلما احترمته زاد لك احتراماً، وكلما أنقصت من شأنه كان للمنقص مهيناً، فالمرأة العربية الأصيلة تذكر هذه الشابة بحسن الصحبة والاحترام والتعظيم، وإلا انقلبت الحياة إلى النكد والتكدير، وعدم الاحترام، وللقدر تنزيل.

وعلاقة الزوجين علاقة تفاهم وتواؤم، مبنية على الاحترام والتقدير، والجميل أن توافق المرأة زوجها الرأي، فإن كان مخطئاً فبكل هدوء ومحبة وجهته، حيث تتخير الوقت المناسب لتدخل إلى قلبه فتحدثه بما تريد.

وكذلك الزوج يجب عليه احترام زوجته له، وأن يبادلها كل ذلك قبولاً وحباً وتقديراً، لا عصبيةً وإثارةً وتهديداً.

الخصلة العاشرة: واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت.

ومسك الختام بوصية الصحبة والإحسان، وضابط الأمن والأمان، وكريم خلق الإنسان،

توجيه الأم الفاضلة ابنتها المقبلة على بناء بيت جديد صلب كالحديد لا يكدره مكدر، ولا يعكره معكر، متوجة كل ما ذكر آنفا إلى ينبوع العلاقة الزوجية بإرضاء رغبات الزوج وإشباعها بتقديم رضاه على رضاها من أجل أن تأسر قلبه، وتحفظ وده، وتدوم محبته، وتحسن لنفسها صحبته

وفي ختام الوصية تتوجه تلك المرأة إلى الله عز وجل أن يختار الأفضل والأحسن من هذا الزواج قائلة: «والله يخير لك».

فما أحوجنا في هذا الزمان ومع كدر الحياة، وضيق الأحوال إلى توجيه فلذات أكبادنا وحاملات أسمائنا ومعمرات بيوت أنسبائنا بهذه الوصية، متوجة بوصايا رسولنا الحبيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1. الروم:21.
2. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين.
3. سنن الترمذي، كتاب الزهد عن النبي، باب من اتقى المحارم.
4. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة للإمام.
5. مسند أبو يعلي ج2ص122.
6. الأنبياء:30.
7. الأعراف؛31.
8. سنن ابي داود، كتاب الأقضية، باب القاضي يقضي وهو غضبان.
9. سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب أفضل النساء.
10. صحيح البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق.
11. سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب أفضل النساء.

أدبيات التعامل مع الناس

الدكتور / خالد الغزاوي ـ القدس

من أفضل ما قاله المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وهو يرشد الناس إلى حسن المعاملة، قوله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»(1) وقوله «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»(2)

وهل هناك أخي القارئ أجمل وأعظم من دين الإسلام الذي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى ديناً للإنسانية، لتنظيم أمور حياتها ودينها، وعلاقات الإنسان مع أخيه الإنسان....

وقد عرف أن الإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وآداب، جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم وحياً من الله تعالى، وكان فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم قدوة للأمة بأخلاقه وصفاته، فكان خلقه القرآن، وجمع مكارم الأخلاق، وجعلها هدفاً لبعثه، وهو القائل: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»(3).

وهذا كله يعني أن الإسلام يدعوك ويدعو أتباعه وسائر الناس إلى حسن التعامل، وهو ما نعنيه بأدبيات التعامل مع الناس عن طريق الذوق الجميل، والتعامل الكريم، والتصرف اللائق، واللمسة الجميلة، والبيان الساحر، والجمال بشتى صوره؛ جمال النظام، وجمال النظافة، وجمال الأناقة والتناسق، فضلاً عن جمال العشرة في البيت والطريق ومكان العمل... وانظر إلى الكون لترى جماله الساحر، وترى عظمة الصانع ورهبة الخالق جل في علاه، وكل ذلك يدل على أن الجمال والإحسان والإتقان قيم عظيمة في ديننا، لا يجوز التخلي عنها بحال من الأحوال، قال تعالى: { ...صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ...}(4)

وبعض الناس يظن جهلاً وخطأً أن تلك الأمور هي أخلاق غربية خالصة، وأطلقوا عليها اسم «الإتيكيت» وغيرها من الأسماء، واعتبروا أن الإسلام عكس ذلك، لما يرونه من حال المسلمين اليوم، وفظاظة بعضهم، وسوء أخلاق قسمٍ كبيرٍ منهم، وواقعهم من حال عدم اللياقة وقلة النظافة وعدم النظام، وصار هذا الظن عندهم حاجزاً بينهم وبين التدين الصحيح.

فالإسلام -أخي القارئ- ليس صلاةً وصياماً وذكراً وتسبيحاً فحسب، إذ لا بد من الأخذ بأدبيات التعامل في شتى العلاقات مع الآخرين، وعلينا أن نفهم أن الذوق والجمال الخلقي جزء أساسي في هذا الدين، فالله تعالى لا يرضيه أن يؤذى المسلم بالكلمة أو الفعل: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(5)، والله تعالى لا يحب من المسلم أن يكون أنانياً شحيحاً بخيلاً، لا يحب غيره من المؤمنين، وهو عليه الصلاة والسلام القائل: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ، أَوْ قَالَ لِجَارِهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(6). وإن المسلم الحق كلما ارتقى في معراج الرقيّ الروحي، إنما تسمو روحه لوصول تلك الذروة السامقة

التي يشعر فيها بالجمال الروحي، ويرى الحكمة والجمال الإلهي، حتى في أدق الأمور والأحداث السائرة في الكون.

وأخوف ما نخافه اليوم أن يظن غير المسلمين، أو أبناء المسلمين الذين يجهلون حقيقة دينهم، أن هذه الأخلاق السّلبية المنتشرة بين المسلمين اليوم؛ كالجهل ودنّو الهمة وعدم التعامل بأخلاق هذا الدين، إنما هي أمور من طبيعة الدين الذي يدين به المسلمون اليوم، وهذه إساءة لا تغتفر، نلصقها بديننا من حيث لا نعلم، فهلاّ نفضنا عن أنفسنا غبار الكسل وجملة الشبهات التي تعوقنا عن فهم الدين، وعن العمل بأحكامه، وهلاّ وقفنا وقفة مع الذات؛ نحاسب فيها النفس أفراداً وأمماً وقادة ومسؤولين في شتى ميادين صنع القرار، ننظر فيها بعينٍ بصيرةٍ إلى تاريخ أمتنا المجيدة، حين وثب المسلمون وثبةً ملأوا بها الأرض قوةً وبأساً وحكمةً وعلماً ونوراً وعدالةً، حين ركزوا ألويتهم في قلب آسيا وممالك أفريقيا وأطراف أوروبا، حين تحقق فهم ذلك النموذج الفريد، والمثل الأعلى للبشرية، وكانوا أمةً وسطاً، شهداء على الناس، ثم ننظر إلى واقعنا الأليم والانحطاط الرهيب الذي وصل إليه المسلمون اليوم، حينها سوف تستنتج معي أن هذه الأمة حينما كانت متصلة بوحي السماء وهداية الإسلام، ومعتزة برسول الإنسانية، حينها كانت مدفوعة بطاقةٍ هائلةٍ، وقوةٍ خارقةٍ نحو ذرى المجد، كأنهم يعرفون معالم الطريق نحو سعادة الدنيا والآخرة، وكانوا يتزودون بقوة علمية، وقوة عملية، كانت سرّ تفوقهم، قوة علمية تتمثل في منهجية العلم والحق والنور واليقين، وقوة عملية تتمثل بالإرادة والشجاعة وعلو الهمة، ومعنى علوّ الهمة الذي أشرنا إليه أن لا ترضى حظاً دون الله تعالى، وأن تعتز بقربه، وتأنس بذكره، وأن لا تبيع حظك من الله بشيءٍ من حظوظ الدنيا الخسيسة، من متاع زائل، أو لذة فانية.(7)

وكما قال علماؤنا الأجلاء: وإنما تقصر الهمم، ويصيبها الفتور بالذنوب، وطاعة النفس الأمارة بالسوء، وحسب هؤلاء أن يكون شفاؤهم من كتاب الله تعالى في قوله:{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ*وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}(8)، ومعنى الفرار إلى الله تعالى هنا السعي في التوبة، وسرعة الرجوع إلى الحق والاستقامة، وعدم الركون إلى حب الدنيا والشهوات، وأن يكون مثالها وقدوتها سيد الأنبياء وخاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أخي القارئ؛

حذار أن لا تكون عالي الهمة، وحذار أن تظن أن التدين هو أداء الشعائر فحسب، من صلاة وصيام ونحو ذلك، بل هناك آداب ذوقية حرص عليها الدين حرصاً شديداً، تمثلت في أخلاقيات التعامل مع النفس، على نحو ما أسلفنا فيه القول، وأخلاقيات أخرى مع الناس، ومع أقرب الناس إلينا، كالتعامل مع الوالدين، وفي داخل الأسرة، ومع الأقارب والجيران، وفي الطريق كذلك، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ»(9) ومن ذلك أدب الاستئذان، وإكرام الضيف، والحياء من الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»(10)

وهكذا الإيمان الحق يستنهض الأفراد والأمم ليتمّموا مكارم الأخلاق التي دعا إليها الدين، وهكذا يكون المؤمن حريصاً على أخلاق الجمال والنظافة والنظام في البيت والأسواق والطرقات ... ونحن نتعامل بهذه الأخلاق لإصلاح أمر الدنيا والآخرة، والتقرب إلى الله تعالى، وإذا وجدت بعض هذه الصفات عند غير المسلمين، فإنما يتعاملون معها على أنها مظهر جميل في التعامل الدنيوي فقط، وشتان بين من يدعو إلى الدنيا فقط، وبين من يدعو على بصيرة إلى خيريْ الدنيا والآخرة.

وعلينا أن نعلم أن الغرب ليس صادقاً في دعواه وزعمه بأنه هو الذي مَنَّ على العالم لاكتشافه من الذوق وجماليات التعامل، فقد رأينا عكس هذه المزاعم تماماً في تعامل الغرب الصّليبي في القديم والحديث مع المسلمين، وبخاصة في البلاد التي اكتوت بجحيم الاستعمار، ولا ننسى مجازرهم يوم احتلالهم للقدس والمسجد الأقصى المبارك، ولا ننسى محاكم التفتيش في الأندلس، وأما تحالفهم الخبيث مع الشيطان في هذا العصر، فلم يعد خافياً على أحد، ولم تقوَ شعاراتهم بالعدالة وحقوق الإنسان، ومواثيق الأمم المتحدة على أن تستر جرائمهم في أراضي المسلمين.

أخي القارئ؛

في زمن عز فيه الرّجال، وقل فيه العاملون بإخلاص، ومال الكثيرون إلى حطام الدنيا الزائل ... في زمنٍ اشتد فيه الظلم، واحلولك فيه الظلام، كن عالي الهمة، ولا تعجز، ولا تضعف، وثق بأن مصلحاً واحداً في هذه الأمة، وبطلاً كصلاح الدين، قد يصلح الله تعالى به الأمة، فهكذا حال المرسلين والمصلحين على مدى الدهر، فاستعن بالله ولا تعجز، وزاحم بكتفيك وساعديك أولئك العظماء من السلف والخلف، لولوج باب

الجنة، وليكن مصباحك على الدوام كتاب الله تعالى، الذي يقول فيه سبحانه: {لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}(11)، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

3) مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، باقي المسند السابق.

4) النمل: 88.

5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل.

6) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم.

7) محمد بن إسماعيل المقدم: علو الهمة، دار ابن الجوزي، القاهرة 1995م، ص18.

8) الذاريات: 50 – 51.

9) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير.

10) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء.

11) الأنبياء: 10.

انظر: ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ج 3 ، ص171 ـ 172، و د . محمد راتب النابلسي: ومضات في الإسلام، دار المكتبي ، دمشق، 208، ص436.

طوبى للباكين من خشية الله

الأستاذ / كمال بواطنه ـ رام الله

شكا شاعر من غلظة قلوب قومه، فقال:

يُبْكى علينا وما نبكي على أحد فنحن أغلظ أكباداً من الإبل

لعلّ من أجلّ نِعَم الله على الإنسان أن يمنّ الله عليه بقلب رقيق، غير قاس، يتأثّر بما يجري حوله، وليس بقادح في رجولة المرء أن يتجاوب قلبه، ويتأثّر بما يرى ويسمع ويعايش...

كثير من الآيات الكريمات تطرق آذاننا ذاكرة البكاء، إن شئت فاسمع قوله تعالى: {وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً}(1)، وإن شئت فاسمع قوله تعالى: {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ* وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} (2)، وإن شئت فاسمع هدي المصطفى – صلى الله عليه وسلّم– فيما يروي البخاريّ– رحمه الله– «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكر منهم «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(3)، واسمع ما جاء في هدي آخر: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»(4) وما جاء في هدي ثالث «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ؛ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(5).

سؤال ينبغي أن يسأله كلّ مسلم لنفسه: هل أنا من البكّائين من خشية الله؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، فهنيئاً، وإن كان الجواب بالنفي، فهذا مؤشر على قسوة القلب. إنّ كثيراً من الناس يهرقون الدموع على فوات حظوظ الدنيا، ولكنّ قلوبهم لم تلن لحظة لذكر الله؛ لأنّ الدنيا شغلتهم بغفلاتها، وصدتهم الشهوات بأباطيلها، وغفل مثل هؤلاء عن الموت وسكرته، والقبر وظلمته، والبعث وشدّته، والصراط وكربته.

إنّ من الخير أن نعلم أنّ سيّد الخلق- صلى الله عليه وسلّم- كان غزير الدمع، فكان «يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ»(6)، وهو الذي لمّا سمع القرآن يتلى على لسان ابن مسعود- رضي الله عنه- بكى، وقال: «حَسْبُكَ الْآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»(7)، ولا عجب فهو الذي خطب المسلمين فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالَ أنس وهو راوي الحديث: «فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ(8)»(9)!! ولا عجب فهو الذي أخبر أصحابه: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ؛ قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ؛ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»(10)

ويروي عبيد بن عمير-رحمه الله- فيما يروي ابن حبّان، أنه قال لعائشة - رضي الله عنها - : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ؟ قال: فسكتت، ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي، قال: «يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربّي» قلت: والله إني أحب ما يسرّك، قالت: فقام فتطّهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ حجره، قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي- صلى الله عليه وسلم - حتى بلّ لحيته، قالت: ثم بكى حتى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «أفلا أكون عبداً

شكورا؟!» لقد أنزلت عليّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكّر {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ} (11)»(12).

ولقد كان صحابة النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- رقيقي القلوب، فكان الصدّيق -رضي الله عنه- أسيفاً، إذا قرأ القرآن غلبه البكاء، وكان عمر-رضي الله عنه- وهو الشديد في الحقّ يبكي، ومن ذلك ما يروى أنّه لمّا زار دمشق التقى أبا الدرداء في ليلة، فتذكرا حديثاً لرسول الله -صلى الله عليه وسلّم- فظّلا يتجاوبان بالبكاء حتّى طلع الفجر!! وكان ابن عبّاس-رضي الله عنهما- بكّاء؛ ترك مجرى الدموع أثراً في وجهه، وكان بعضهم كعبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- يكون صائماً فيأتيه الطعام، فيتذكّر ما كان عليه صحابة المصطفى -صلى الله عليه وسلّم- من شظف العيش، فيغلبه البكاء، وينسى جوعه، ويترك الطعام(13).

وكان عثمان -رضي الله عنه- بكّاء. عن هانئ مولى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: «كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ، إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ» (14)

وما أكثر المواقف التي بكى فيها صحابة رسول الله، وبكى فيها الصالحون!! من ذلك أن أبا موسى الأشعري خطب مرّة الناس بالبصرة، فذكر في خطبته النار فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر، وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً، ويروى أن ابن عمر -رضي الله عنهما- قرأ: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ}(15)، فلما بلغ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}(16) بكى حتى خرّ، وامتنع عن قراءة ما بعده. وكان -رضي الله عنه- يقول:

«لأن أدمع من خشية الله أحبّ إليّ من أن أتصدّق بألف دينار». وروى مسروق –رحمه الله– فقال: قرأت على عائشة –رضي الله عنها– هذه الآية: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}(17)، فبكت، وقالت: «ربّ، منَّ عليّ، وقني عذاب السموم».

وهكذا كان صالحو هذه الأمّة، سأل رجل القاضي يحيى بن أكثم –رحمه الله–: كم آكل؟ فقال: فوق الجوع ودون الشبع. قال الرجل: فكم أضحك؟ أجاب القاضي: حتى يسفر وجهك، ولا يعلو صوتك. قال الرجل: فكم أبكي؟ أجاب القاضي: لا تملّ البكاء من خشية الله. فهنيئاً لمن أسعفته الدمعات قبل يوم الحسرات، وهنيئاً لمن تعجّل بالبكاء قبل حسرات يوم اللقاء!!

يقول أحمد بن سهل –رحمه الله– : قال لي أبو معاوية الأسود: «يا أبا عليّ، مَنَ أَكْثَرَ لله الصدق؛ ندیت عيناه، وأجابته إذا دعاهما»، وحدث من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة أن رجلاً صالحاً قرأ عنده : {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً}(18) فبكى حتى غلبه البكاء، وعلا نشيجه، فقام من مجلسه، فدخل بيته، وتفرّق الناس.

ويروى أنّ رجلاً دخل عليه وبين يديه كانون فيه نار، فقال له عمر: عظني. قال: يا أمير المؤمنين، ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت أنت النار، وما يضرّك من دخل النار إذا أنت دخلت الجنّة؟! قال: فبكى عمر حتى كاد يطفئ الكانون الذي بين يده من دموعه، ولقد كان محمد بن المنكدر –رحمه الله– إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه، وقال: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسّته الدموع، فطوبى للباكين من خشية الله!!

إنّ الدموع التي تذرفها لله –تعالى– أيّها المسلم، غنيمة غالية تفوز بها، وبشرى لك إن حرصت عليها. يقول أحد الصالحين: «بلغنا أنّ البكاء من خشية الله مفتاح لرحمته».

ولقد وعظ مالك بن دينار –رحمه الله– يوماً، فبكى أبو بشر حوشب، فضرب مالك بيده على منكبه، وقال: ابك يا أبا بشر؛ فإنّه بلغني أن العبد لا زال يبكي حتى يرحمه سيّده، فيعتقه من النار!!. وقال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– لأبي الجودي الحارث بن عمير: « يا أبا الجودي،اغتنم الدمعة تسيلها على خدك لله ».

فيا أيها الضعيف، لا تنس أن أمامك شدائد يشيب لهولها الوليد، لا تنسين بيت الظلمة والدود، لا تنسين أول ليلة تبيتها في قبرك، لا تنسين هول السؤال ساعة يبعثك الملكان وأنت وحيد، وقد تفرّق عنك الأهل والأصحاب، شدائد تبعث الدموع مدرارة، وشدائد تملأ القلوب أحزاناً، وبين يدي تلك الشدائد سكرات الموت، وحال الخاتمة ونهايتها.

لما حضرت سفيان الثوري الوفاة جعل يبكي ويجزع، فقيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء؛ فإن عفو الله أعظم من ذنوبك! فقال: أو على ذنوبي أبكي؟! لو علمت أنّي أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا!! «إنّهم رجال عرفوا الطريق فسلكوه على بصيرة، رجال عبدوا الله على علم، فحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب، فحرك استشعار عظمة الله –تعالى– وجلاله مدامعهم، فسالت غزاراً ».

لقد قيل على لسان أحد الصالحين: «أرقّ الناس قلوباً أقلّهم ذنوباً» ولقد كان صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– وصالحون كثيرون من هذه الأمة يمتلكون قلوباً مرهفة رقيقة، فكانت أعينهم تدمع إذا ذكر الله، أو ذكرت رحمته أو عذابه، والعين لا تدمع إلا إذا صفا القلب، وطهرت النفس .

كم من أناس غفلوا عن ربهم فاستبدلوا دموع الخشية ضحكات وغفلات!! كأنهم أمنوا ريب المنون، وعظائم الأمور، فلم يهزَّ القرآن قلوبهم، ولم يحرّك بوعيده دموعهم وشجونهم!!

مرّ الحسن البصريّ –رحمه الله– بشابّ مستغرق في ضحكة يجلس مع قوم، فقال له: يا فتى، هل مررت بالصراط ؟ قال: لا. قال: فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا . قال : فما هذا الضحك؟ قال: فما رئي الفتى بعدها ضاحكاً . وسئل ابن عباس –رضي الله عنهما– عن الخائفين، فقال: «قلوبهم بالخوف فرحة، وأعينهم باكية، يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا، والقبر أمامنا، والقيامة موعدنا، وعلى جهنّم طريقنا، وبين يدي ربنا موقفنا....؟!» اللهم إنّي أعوذ بك من قساوة القلب، وأسألك أن تُليّن قلبي، وأن ترزقني نداوة العين.

الهوامش:

1. الإسراء:109.
2. النجم: 59 – 60.
3. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد.
4. سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله.
5. سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله.
6. سنن النسائي، كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة.
7. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ حسبك.
8. الخنين: خروج صوت البكاء من الأنف.
9. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم.
10. سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، ما جاء في فضل المرابط، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.
11. آل عمران:190.
12. أخرجه العراقي في تخريج الإحياء.
13. راجع صحيح البخاريّ.
14. سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى.
15. المطففين:1.
16. المطففين:6.
17. الطور:27.
18. الفرقان:13.

نفحات حاج

الأستاذ / محمد ذياب أبو صالح ـ دورا

إليك رسولَ الله مني تحية وألف سلام عاطر النسمات
إليك أبا الزهراء أشتاق دائماً وأنت شفيعي ساكن الحجرات
فيا خير خلق الله أنت إمامنا وأنت منار البيد في الظلمات
أيا غادياً صوب النبي محمد فبلغ سلاماً طيبَ النفحات
وقائلة إن العيون سواجم تفيض بدمع قاني العبرات
حلفت برب السابحات إلى منى بأنك حيٌّ في الفؤاد وذاتي
فيا نفحات الطيب بالله خبري سلامي إلى المختار كل غداة
وُهِبْتَ رسولَ الله كل محبةٍ تشّفع لنا من عاثر النكبات
من المسجد الأقصى أتيتك زائراً فنلت مقاماً عالي الدرجات
وغادرت أولى القبلتين تشدني بشوق إلى أرض الحجاز حصاتي
فجدك إبراهيم في الأسر واقع ينوء بأعباءٍ من الحسرات
ويممت أرضاً بارك الله تربها تضّوع مسكا من جميع جهات

فلبيت مشتاقاً وهللت صوبه أساهر نجم الليل في السروات
ورحت أغذُّ السير للبيد طاوياً توارت عن الأنظار طول فلاة
أتيت مقاماً قدّس الله سرّه يشع بأنوار من البركات
وأُدلفتُ باب الخيِّرين تهزني مشاعرُ أشواقٍ على العتبات
فكّبرت للمولى ولبّيت محرماً دعوت إله الكون في الصلوات
تعلّقت بالبيت العتيق تضّرعاً وطفت به سبعاً بكل أناة
سعيت على أدراج هاجر أمّنا وأكملتُ أشواقاً رفيق سعاة
لثمت على أحواض زمزم شربة ظمئت لها عمري فنلت مناة
وفي عرفات الله نورك ساطع تعالت بك الأذكار في عرفات
وضَجَّت بأعماقِ الحناجرِ عالياً رواجعُ أصواتٍ بكلِّ لغات
فناجتْ ملائكةُ السماءِ إلهها وطافتْ على الحجاج بالبركات
أفضنا نغذ السير هبت ركابنا تناهى إلى الأفاق صوت حُداة
أنخنا فنمنا في منى شطر ليلنا رمينا رموز الشرك بالجمرات
وطفنا فودعنا وروحي تعلقت بأهداب بيت الله كل حياتي
فيا رب واعدنا الزيارة دائماً فنورك نبراس بليل هداة

من أخبار ونشاطات مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: الأستاذ مصطفى أعرج / نائب المدير العام لمديرية العلاقات العامة والإعلام

سيادة الرئيس يستقبل المفتي العام

رام الله: استقبل سيادة الرئيس محمود عباس «أبو مازن»، بمقر الرئاسة في مدينة رام الله سماحة الشيخ محمد حسين/ المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، حيث اطَّلع سيادته من المفتي العام على أوضاع المدينة المقدسة، ومعاناة المواطنين المقدسيين جراء إجراءات سلطات الاحتلال التي تستهدف تهويد المدينة المقدسة وسلخها عن محيطها الفلسطيني والعربي، وأكد سيادة الرئيس أن القيادة الفلسطينية تتعامل بجدية كبيرة مع موضوع سحب هويات النواب المقدسيين، وإبعادهم عن مدينتهم، لأن هذا القرار له أبعاد خطيرة، وهو مقدمة لإبعاد الآلاف من أبناء شعبنا الفلسطيني عن مدينة القدس المحتلة، وقدم سماحة المفتي لسيادة الرئيس تقريراً عن أعمال دار الإفتاء الفلسطينية وإنجازاتها للعامين 2008 – 2009م، والخطط المستقبلية للنهوض بعملها.

سيادة الرئيس محمود عباس «أبو مازن» حفظه الله يقيم مأدبة إفطار للعلماء ورجال الدين

رام الله: أقام سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس «أبو مازن» حفظه الله مأدبة إفطار للعلماء المسلمين ورجال الدين المسيحي وأفراد السلك الدبلوماسي والعديد من الشخصيات الرسمية والشعبية في فلسطين، حيث أكد سيادته أننا ذاهبون للمفاوضات المباشرة بإرادتنا

وحسنا الوطني، وأضاف سيادته أننا نريد سلاماً مهما كانت حدود الأمل، معرباً عن أمله في أن يستغل الإسرائيليون هذه الفرصة لتحقيق السلام، وأثنى سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – على حكمة وحنكة سيادة الرئيس في التعامل

مع الإسرائيليين، وأضاف أن القيادة الفلسطينية؛ وعلى رأسها سيادة الرئيس «أبو مازن» هي القيادة الشرعية للشعب الفلسطيني، داعياً إلى الوحدة ورص الصفوف لصد الأخطار الحقيقية التي تواجه الشعب الفلسطيني ومقدساته.

المفتي العام يشارك بمؤتمر رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة: شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– بمؤتمر رابطة العالم الإسلامي «الواقع واستشراف المستقبل»، الذي عقد في مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية في مطلع شهر آبْ بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيسها، وقد التقى سماحته على هامش المؤتمر بالعديد من الشخصيات والوفود الرسمية والشعبية، وأطلعهم على معاناة الشعب الفلسطيني ومقدساته، وخاصة المسجد الأقصى المبارك، مثمناً المواقف التي تتبناها الرابطة لدعم صمود الشعب الفلسطيني ومقدساته.

المفتي العام يشارك في مؤتمر «المصارف الإسلامية في فلسطين.. واقع وتحديات»

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– في مؤتمر «المصارف الإسلامية في فلسطين.. واقع وتحديات» الذي عقده مركز القدس للدراسات والإعلام الاسلامي، وأكد سماحته في افتتاح المؤتمر على أهمية عقد مثل هذه المؤتمرات، لا سيما أنه يتحدث عن مفصل رئيس في الاقتصاد الوطني والمعاملات المصرفية، وأضاف أن جوهر العمل المصرفي الإسلامي يستند إلى الآية الكريمة: {...وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...}(البقرة: 275) وبتطبيقٍ يتفق مع الشريعة الإسلامية وضوابطها وأحكامها،

وليس بالشكليات واللافتات وأن الرقابة الشرعية هي الضابط للعمل والمنظم له.

المفتي العام يشارك في يوم دراسي حول المسجد ووسائل الإعلام

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى– في يوم دراسي بعنوان «تكامل دور المسجد ووسائل الإعلام في نشر ثقافة الوسطية والاعتدال»، مبيناً حيوية الدور الملقى على عاتق الإعلاميين في نقل الصورة الحقيقية للدين، وأضاف: إن المسجد أهم وسيلة إعلامية لنقل الدعوة وخطاب الوسطية، محذراً من ظاهرة التكفير.

المفتي العام يشارك في إطلاق العدد الموسوعي الخاص بالقدس

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/خطيب المسجد الأقصى المبارك– في حفل إطلاق العدد الموسوعي الخاص بالقدس الشريف، الذي نظمته عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بجامعة القدس المفتوحة، حيث أشاد سماحته في كلمته الافتتاحية بهذا العمل، مبيناً أهمية القدس عبر التاريخ، وأكد سماحته أن الشعب

الفلسطيني لن يتنازل عن حقه في مدينة القدس، وأن القدس ستظل عربية إسلامية مهما تجبر الاحتلال، مبيناً أن اجراءات المحتل لن تستطيع تغيير طبيعة المدينة.

المفتي العام يطلع القنصل التركي على أوضاع مواطني مدينة القدس

رام الله: أطلع سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك– سعادة السيد شاكر أوسكان تورونلار –القنصل التركي

العام في القدس– على أوضاع مواطني المدينة المقدسة، وشرح سماحته الأوضاع الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني بعامة وسكان مدينة القدس بخاصة، مبيناً أن سلطات الاحتلال زادت من ممارساتها التعسفية ضد شعبنا ومقدساته بشكل ملحوظ، وقد أشاد سماحته بالعلاقة الوطيدة بين الشعبين الفلسطيني والتركي، وحضر اللقاء الشيخ إبراهيم خليل عوض الله/ الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية.

المفتي العام يبحث مع وزير الاقتصاد الوطني سبل مقاطعة المنتجات الإسرائيلية

رام الله: بحث سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى– مع معالي الدكتور حسن أبو لبدة –وزير الاقتصاد الوطني– سبل

تفعيل حملة مقاطعة منتوجات المستوطنات، ودور دار الإفتاء في تشجيع المواطنين على هذه المقاطعة، وأكد سماحته على الفتوى السابقة بهذا الخصوص، والصادرة عن دار الإفتاء بشأن مقاطعة منتوجات المستوطنات والعمل فيها، مثنياً سماحته على عمل وزارة الاقتصاد الوطني لحماية المنتوجات الفلسطينية والسوق الفلسطيني من البضائع الفاسدة والمهربة ومنتهية الصلاحية.... الخ. وأكد الوزير أبو لبدة على ضرورة تضافر الجهود والعمل المشترك لمصلحة الوطن والمواطن، وحضر اللقاء الشيخ إبراهيم خليل عوض الله/ الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، والأستاذ مصطفى أعرج نائب المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

المفتي العام يثني على عمل قوات الأمن الفلسطيني

رام الله : التقى سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك- معالي الدكتور سعيد أبو علي/ وزير الداخلية الفلسطيني، حيث أشاد سماحته بحالة الأمن والاستقرار التي وصلت إليها الأراضي الفلسطينية، وقد أثنى سماحته على نشاط الأجهزة الأمنية بهذا الخصوص، مبدياً ارتياحه من اطمئنان المواطن على حياته وأملاكه، وهذا يعود إلى الجهود التي تبذلها القيادة الفلسطينية لتحقيق الأمن والأمان للمواطن الفلسطيني، كما عبر سماحته عن استعداد الدار لتقديم الدروس والنشاطات

الدينية لرجال الأمن في مختلف المحافظات، وقد أشاد الوزير أبو علي بهذه الزيارة مبدياً ارتياحه لحالة الاستقرار والأمن التي وصل إليها الشعب الفلسطيني، وحضر اللقاء الشيخ

إبراهيم عوض الله/ الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، والأستاذ مصطفى أعرج نائب المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

المفتي العام يلقي خطبة الجمعة أمام مقر الصليب الأحمر بالقدس

القدس: ألقى سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك– خطبة الجمعة في خيمة الاعتصام أمام مقر الصليب الأحمر بالقدس، وذلك تضامناً مع النواب المقدسيين المهددين بالأبعاد عن القدس من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وشدد سماحته على رفض الإجراءات الإسرائيلية لسياسة هدم المنازل، ومصادرة الأراضي، وحرمان المواطنين من تراخيص البناء، وقد أشار سماحته إلى ظاهرة خيام الاعتصام التي كثرت في الآونة الأخيرة بالمدينة المقدسة لمواجهة الظلم المتصاعد من قبل سلطات الاحتلال، وأضاف أن سلطات الاحتلال تمنع المواطنين من الصلاة في المسجد الأقصى المبارك، مما يدفعهم إلى الصلاة في الشوارع وعلى الحواجز، مناشداً الدول العربية والإسلامية والمجتمع الدولي التدخل لوقف الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته.

الوكيل المساعد يشارك في افتتاح مركز الشفاء والأمل لعلاج مدمني المخدرات والكحول

رام الله: شارك الشيخ إبراهيم عوض الله -الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية/ مفتي محافظة رام الله والبيرة- في افتتاح مركز الشفاء والأمل لعلاج مدمني المخدرات والكحول، في الرام، حيث ألقى فضيلته كلمة أشاد فيها بالأهداف التي تسعى الجمعية إلى تحقيقها، مؤكداً على ضرورة محاربة آفة المخدرات التي تضر بالمجتمع

الفلسطيني، كما شارك فضيلته نيابة عن سماحة المفتي العام في افتتاح الدورة الثانية لتحقيق المخطوطات، والتي أقامتها مؤسسة إحياء التراث التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مؤكداً على أهمية الحفاظ على هذه المخطوطات، لما فيها من أهمية في الحفاظ على تاريخ الشعب الفلسطيني، كما رافق سماحة المفتي العام بالمشاركة في حفل تكريم أئمة مساجد رام الله والبيرة، والذي أقامه مركز ابن باز الخيري ضمن مشروع «المكتبة الدعوية لأئمة مساجد الضفة الغربية»، مشيداً بالأئمة و بالأعمال التي يقومون بها لخدمة الإسلام والمسلمين، كما شارك بالمؤتمر التربوي الأول، الذي أقامته مؤسسة ساعد للاستشارات التربوية بعنوان «التعليم في القدس ... الواقع والمأمول»

مفتي نابلس يشارك بتكريم طلاب الثانوية العامة

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش –مفتي محافظة نابلس– في حفل تكريم الطلبة الأوائل في امتحان شهادة الثانوية العامة بالمحافظة، وتسليمهم مكرمة فخامة الرئيس الفلسطيني محمود عباس «أبو مازن»، وشارك فضيلته كذلك في حفل تكريم متطوعي حملتي «من بيت لبيت، ومن محل لمحل» الذي أقامه صندوق الكرامة الوطنية والتمكين لمكافحة منتجات المستوطنات، بالإضافة إلى مشاركته في حفل تكريم حافظات كتاب الله في مخيم بلاطة، حيث ألقى كلمة دعا فيها إلى تلاوة كتاب الله، والحرص على حفظه، مبيناً فضل التلاوة والحفظ والأجر العظيم الذي ينال المهتمين بكتاب الله، وشارك فضيلته كذلك في المؤتمر الإعلامي الفلسطيني بعنوان «الإعلام الفلسطيني واقع وتحديات»

مفتي بيت لحم يشارك في مؤتمر وندوة مصرفية

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة –مفتي محافظة بيت لحم– في مؤتمر «دور الحوار الديني في تعزيز لغة التسامح والسلم الأهلي داخل المجتمع الفلسطيني» مؤكداً على أهمية الحوار لحل جميع المسائل والخلافات، كما شارك فضيلته في حلقة نقاش حول مشروع

«إنكار الميراث» وما تواجهه المرأة الفلسطينية بهذا الخصوص، بالإضافة إلى مشاركته في الندوة التي عقدها مركز القدس للدراسات والاعلام الإسلامي برعاية البنك الإسلامي الفلسطيني حول المصارف الإسلامية، وألقى محاضرة في مسجد مخيم الدهيشة الكبير، تحدث فيها عن دور الوالدين في تثقيف الشباب في سن المراهقة.

محافظ سلفيت يزور دار الإفتاء في المحافظة

سلفيت: قام عطوفة السيد عصام أبو بكر/ محافظ سلفيت يرافقه مدير عام الشؤون العامة في المحافظة الأستاذ جابر البطة،بزيارة مقر دار الإفتاء في المحافظة، وكان في استقبالهم فضيلة الشيخ جميل جمعة/مفتي المحافظة، وموظفو دار الإفتاء، وأطلع فضيلته الوفد على نشاطات

الدار وأعمالها، لخدمة المواطنين، وقد أثنى المحافظ أبو بكر على هذه النشاطات، مؤكداً على استعداد المحافظة للمساعدة والتعاون بشكل فاعل لتسهيل خدمة المواطنين.

مفتي طوباس يشارك في الاحتفال النهائي لفعاليات مكافحة المخدرات

طوباس: شارك فضيلة الشيخ حسين عمرو –مفتي محافظة طوباس– في الحفل الختامي لفعاليات مكافحة المخدرات، بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة المخدرات، مؤكداً فضيلته على ضرورة محاربة هذه الآفة التي تضر بالمجتمعات دون تمييز، وألقى فضيلته عدداً من المحاضرات وشارك في ندوات ودروس دينية، حث خلالها على شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك وإعماره، وضرورة السير على نهج سيدنا محمد ﷺ للفوز بالجنة، داعياً إلى رص الصفوف والوحدة الوطنية لمواجهة الاحتلال.

تعيين الشيخ محمد يوسف الحاج محمد مفتياً لمحافظة أريحا والأغوار

أريحا والأغوار: أعلن سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية– عن تعيين الشيخ محمد يوسف «الحاج محمد» مفتياً لمحافظة أريحا والأغوار، خلفاً للشيخ محمد

أبو الرب، الذي نقل مفتياً لمحافظة جنين.

وألقى فضيلة الشيخ الحاج محمد محاضرة دينية لمنتسبي مدرسة الاستخبارات العسكرية في المحافظة، بعنوان «الصبر والإحسان، عدة المؤمن وذخيرة رجل الأمن»، مبيناً أهمية الصبر وفوائده، وكذلك منزلة الإحسان وضرورته للنجاح والتفوق، وألقى عدداً من المحاضرات الدينية بالتعاون مع التوجيه السياسي والوطني في المحافظة.

مفتي جنين يستقبل وفداً صحفياً هولندياً

جنين: استقبل فضيلة الشيخ محمد أبو الرب –مفتي محافظة جنين– في مكتبه وفداً صحفياً هولندياً مؤلفاً من 25 صحفياً، وتعرض فضيلته في اللقاء إلى أهمية حقوق الإنسان في الإسلام، مع إظهار أهمية الصحافة في بيان الحقائق، وخاصة الأوضاع الصعبة التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني، جراء ممارسة سلطات الاحتلال، وشارك فضيلته في افتتاح مسجد «أبو بكر الصديق» في الطيبة، وقدم التهاني لأهالي البلدة بافتتاح هذا المسجد، داعياً إلى الوحدة ورص الصفوف، وكان فضيلته استقبل في مكتبه العقيد راضي عصيدة / قائد منطقة جنين، وأطلعه على انجازات دار الإفتاء في المحافظة ونشاطاتها، وأكد الجانبان على أهمية عقد مثل هذه اللقاءات والتعاون في مجال الإصلاح لمنفعة الوطن والمواطن.

مسابقة العدد 93

أسئلة المسابقة:

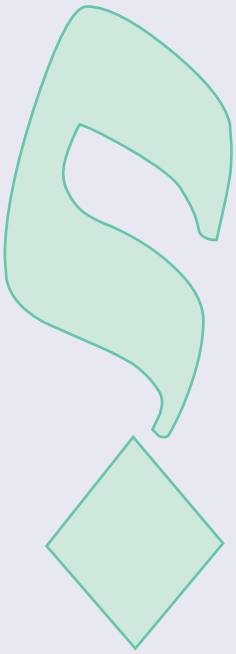

السؤال الأول: ما ...؟

أ. معنى«سنتي» في قوله ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني»؟

ب. أشهر ثلاثة أسواق كانت في الجزيرة العربية زمن الجاهلية؟

ج. وصف دعاء يوم عرفة في ضوء ما ورد في بعض كتب السنن؟

د. حكم الإحرام للحج عند الحنفية؟

هـ. حكم طواف الوداع للحائض والنفساء عند جمهور العلماء؟

و. أحسن الحُسن؟

ي. وصية القاضي يحيى بن أكثم لمن سأله عن مقدار الأكل والضحك؟

السؤال الثاني: من ...؟

أ. القائل: فلما كبرتُ، وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ؟

ب. النبي بعثه النبي ﷺ يؤذن ببراءة الله من المشركين ورسوله؟

ج. النبي أمره الله تعالى ليؤذن في الناس بالحج؟

د. صاحب مقال«الرسالة الإسلامية ومدى حاجة العالم إليها»؟

هـ. صاحب قول: «أصل فساد الصبيان بعضهم من بعض»؟

السؤال الثالث: متى ...؟

أ. يجب الحج على المكلف المستطيع عند الشافعية؟

ب. وقعت أحداث 11 أيلول في أمريكا؟

ج. عقد في مكة مؤتمر «رابطة العالم الإسلامي: الواقع واستشراف المستقبل» ؟

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 300 شيكل

الجائزة الثانية: 250 شيكل

الجائزة الثالثة: 200 شيكل

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف والإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 93

مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 91

ج1: 21 /8 /1969م.

ج2: مقبرة مأمن الله الواقعة غرب مدينة القدس.

ج3: البراق.

ج4: كروبر.

ج5: مغربي.

ج6: الدكتور الشيخ محمد سيد الطنطاوي رحمه الله.

ج7:التسامح يتضمن التسامح في الفروع والالتزام بالأصول، وهذا يعني للمسلمين تجاوز المذهبية والتعددية الثقافية والأهل والعشيرة، لأن التسامح مرتبط مع الغير أيا كان وليس مع الأهل والأقارب.

ج8: النحل: 90.

ج9: التماثل والتقابض.

ج10: الإباحة مالم تخالف دليلاً شرعياً.

ج11: الخمر.

ج12: الخمر من العسل.

ج13: الشيخ سعيد الحلبي.

ج14: عام 2002

الفائزون في مسابقة العدد 91

المرتبة	الإسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	أنوار ماهر جابر	طولكرم	300
الثانية	منال يوسف خليفة	بيت لحم	250
الثالثة	سعيد يوسف عبد الواحد	قلقيلية	200

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه لأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين وأصحاب الفضيلة العلماء أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية والتكنولوجية والتراثية والتاريخية، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن 5 صفحات حجم A4، والبحث عن 10 – 12 صفحة.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث، وأن تكون مشكلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أو الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org